

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
قسم الدراسات العليا المسائية
كلية اللغة العربية - فرع الأدب

الحكمة في شعر شوقي

(المضامين والتشكيل)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالب

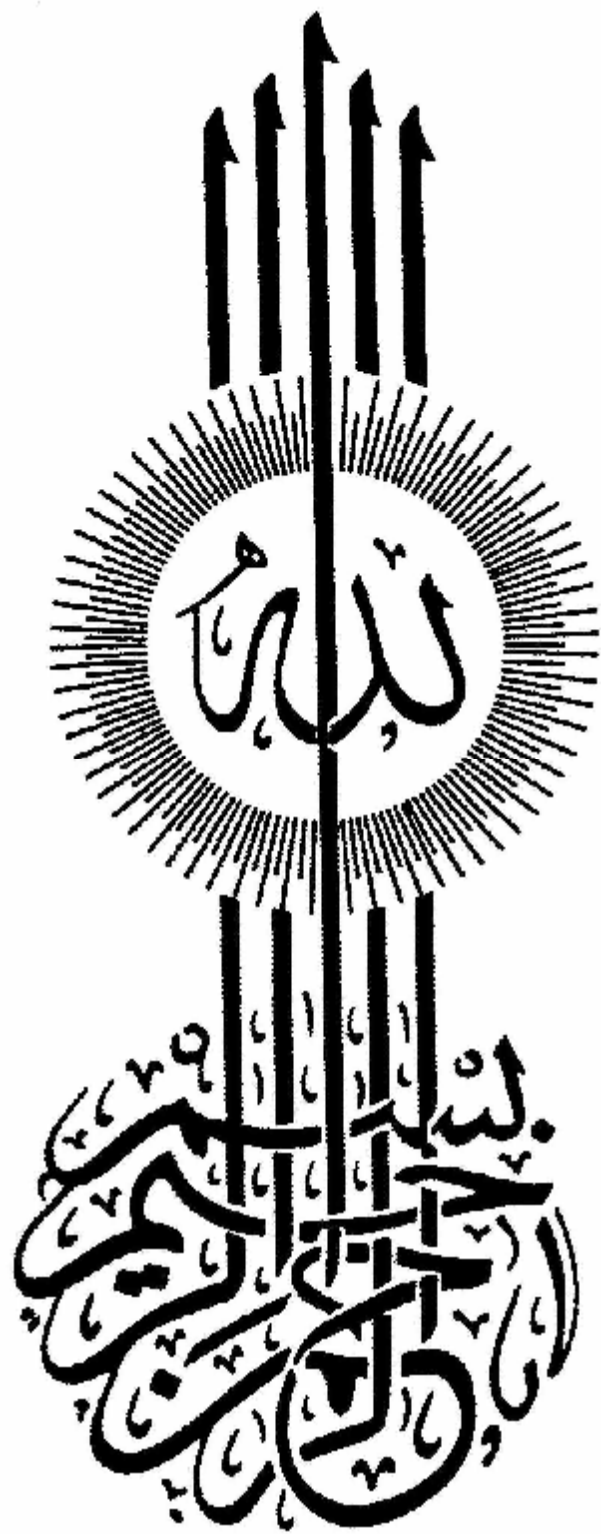
ماجد بن مرزوق بن عبد الله الدوسري

الرقم الجامعي (٤٢٥٨٨٠٧٥)

إشراف الأستاذ الدكتور

مصطفى عبد الواحد

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذه الدراسة معنية بدراسة (الحكمة في شعر شوقي المضامين والتشكيل) وتقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب المنهج الإحصائي في جزءٍ منها . وقد انتظمت الدراسة في تمهيد وفصلين وخاتمة ، ثم ديوان الحكمة، عرضت في التمهيد لمعنى الحكمة، ثم الحكمة في القرآن والسنة ، ثم الحكمة في الشعر العربي، ثم مبحثٌ في مصادر الحكمة عند شوقي ، وموازنةٌ بين المتنبي وبين شوقي في الحكمة، ثم مبحثٌ في العلاقة بين الشعر والفكر، ثم أبيات الحكمة (عددها - أقسامها) .

أما الفصل الأول: (مضامين الحكمة) فتم تقسيمه إلى مبحثين:

* الحكمة العملية ، وتحليل نماذج منها.

* الحكمة النظرية، وتحليل نماذج لها.

والفصل الثاني: (التشكيل) وفيه ثلاثة مباحث:

* اللغة في شعر الحكمة. (وصور البديع فيها) .

* الإيقاع (البحور والقوافي) .

* موقع أبيات الحكمة في القصائد (المقدمة - الوسط - الخاتمة) .

وفي الخاتمة عرضت أهم نتائج الدراسة ومنها:

• غزارة الحكمة في شعر شوقي .

• مصادر الحكمة عنده مستقاةٌ من عدة جوانب .

• تعدد الموضوعات التي تناولها في شعره الحكمي .

• انقسمت الحكمة عنده إلى قسمين : عملية ، ونظرية .

• تنوع استخدامه للمحسنات البديعية .

• صاغ الحكمة على أحد عشر بحراً من بحور الشعر .

• تنوع موقع أبيات الحكمة في قصائده ، وأثر ذلك على القصيدة .

ثم أوردت في نهاية الدراسة الأبيات التي رأيت أنها متضمنةٌ لمعنى الحكمة في

فصلٍ أسميته (ديوان الحكمة) .

والحمد لله رب العالمين.

المشرف

أ.د. مصطفى عبدالواحد إبراهيم

الباحث

ماجد بن مرزوق بن عبدالله الدوسري

Abstract

This study is concerned with investigation of (Wisdom in Shawgi's Poetry : Concepts and Representation)

This study depends on analytical descriptive method as well as statistical method in some parts of it . The study is organized in preclusion , two chapters and conclusion besides wisdom anthology that is presented in the preclusion for the meaning of wisdom in Quran and Sunna , then the wisdom in the Arabic poetry , research of the sources of wisdom for Shawgi , comparison between Shawgi's and Al-Motanabi's views on wisdom , relationship between poetry and thought then verses of wisdom (Their number and Sections) .

The First Chapter : (Concepts of Wisdom) which is divided into two section :

- Practical Wisdom , and analysis of some its patterns .
- Theoretical Wisdom , and analysis of some its patterns .

The Second Chapter : (Representation) which includes three sections :

- Language In the wisdom poetry (Metaphorical Images) .
- Rhythm (Stanza and Rhymes) .
- Location of wisdom verses in the poet (Introduction – Middle – Conclusion) .

In the conclusion , the most important results of the study are shown such as :

- Intensity of Shawgi's wisdom poetry .
- The sources of wisdom for him are derived form many dimensions .
- Multiplicity of topics that are discussed in his wisdom poetry .
- Wisdom is divided on two types : Practical and Theoretical .
- Variety of metaphorical images usage .
- Formulation of wisdom according to eleven rhythms of poetry .
- Variety of wisdom verses location in his poetry and its effect .

At the end of the study , he mentioned the verses that are inclusive of the wisdom meaning in a chapter entitled (Wisdom Anthology) .

Researcher
Majed Al-Dosary

Supervisor
Dr. Mustapha A Ibrahim

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن
ولاه أما بعد:

يبحث الناس في كل زمان ومكان عن الإنسان الحكيم ، ويرون في
تجاربه دروساً يتعلمون منها ، ولذا نجد أن كلمة حكيم إذا أطلقها الناس
على أحد فكأنما يمنحونه وساماً رفيع المستوى ، ولقباً يخلد اسمه في
سجل أهل الرأي والبصيرة النافذة .

وفي العصر الجاهلي نجد من عرف بالحكمة يذيع صيته ويتناقل
الناس أقواله ويورثونها من خلفهم ، ويعتبرون كلامه من المسلمات التي
لا جدال فيها ، وتزيد مكانة الحكيم إذا كان من المغردين بالشعر ، ولذلك
لا نعجب حينما نقرأ الحديث الشريف "إن من الشعر حكمة" (١) فذلك
يعطينا دلالة على وجود علاقة بين المعرفة بالأمر والحكمة في
تسييرها وبين قول الشعر ، فلو أمعنا النظر في الشعر الذي حظي
بمكانة في الشعر الجاهلي لوجدنا أصحابه مميزين ولهم باع طويل في
تجارب الحياة هذا إذا استثنينا طرفة بن العبد الصغير السن بالنسبة إلى
غيره من أصحاب المعلقات والذي لم يمنعه صغر سنه من قول الحكمة .

ولكن الأبرز بين الشعراء الجاهليين في غرض الحكمة هو زهير
بن أبي سلمى والذي أبدع في شعره ومن أشهر ما قال من شعر : معلقته
التي كلها حكم فاستحق أن يلقب (حكيم الشعراء) أو اللقب الآخر
(شاعر الحكماء) .

ولما جاء الإسلام بعد موت زهير بن أبي سلمى ازدادت مكانة زهير
وقوي اعتراف الناس بحكمته في الشعر أو بشعره الحكيم لما وجدوا
تقارباً بين الكثير مما كان ينادي به وبين تعاليم الدين الحق الذي جاء به
نبينا محمد ﷺ ولذلك قيل عنه: أنه لو أدرك الإسلام لأسلم .

كذلك القرآن الكريم لم يغفل مكانة الحكمة ، فقد أنزل الله في كتابه
الكريم سورة حدثتنا عن (لقمان) الحكيم ، بل إن أقواله يتناقلها الناس
ولذا كان طبيعياً أن نسمع من الخطباء أو نقرأ للكتاب جملة (قال لقمان
الحكيم) .

(١) صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢ ص ١٠٧١ (٦١٤٥).

ولما سبق وجدنا الناس في كل زمان ومكان يولون الحكمة وأصحابها اهتماماً بالغاً لأنهم عرفوا أن ما يسمعونه من الحكمة منهم إنما هو نوع من أنواع الحقيقة التي يستنيرون بها في حياتهم .

ولما شغل الناس بأغراض في الشعر غير الحكمة ظهر المتنبي ولوى أعناق الناس إليه وشنف آذانهم وملاً الدنيا وشغل الناس بشعر بث فيه الحكمة ونثرها فيه لآلى ساحرة ، ولم يخلع أرباب الأدب وأهل الشعر لقب (أمير الشعراء) على أحد من الشعراء سوى شاعر واحد استحق اللقب وبكل اقتدار وباعتراف حتى ممن انتقصوا من مكانته في وقت ما إلا أنهم أرجعوا الأمور إلى نصابها الصحيح ومدحوه بكلام لو قيل له انه منهم لشكك في ذلك (كطه حسين والعقاد) مثلاً ، ولكن هذا هو حال المبدعين من أمثال أمير الشعراء في العصر الحديث الشاعر (أحمد شوقي) ، فقد بايعه الأدباء بالإمارة في الشعر لأنهم وجدوا اتفاقه مع المتنبي في عدة أمور يهمني منها بث الحكمة في القصائد ، وانتشار أبيات الحكمة بين الناس عند الرجلين ، فهذا حافظ إبراهيم يقول في تلك المناسبة المشهورة :

أمير القوافي قد أتيت مبيعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت
(١)

ومن العجيب أن نجد من يحفظ بيتاً في الحكمة ويفاجأ أن هذا البيت قائله أحمد شوقي :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً^(٢)

هذا البيت مما شاع بين الناس ويردده الكثيرون من أصحاب الهمم العالية وقد يسبقه بعضهم بقوله : قال أحد الشعراء . ولو أتعب نفسه قليلاً واطلع على الشوقيات لربما يذهل بالكم الهائل من أبيات الحكمة عند أحمد شوقي ولربما لم يكن يعرف أنها له أيضاً ، وإن مما يدل على إجماع أهل الأدب (على اختلاف مدارسهم) على علو منزلته اختياره رئيساً لمجلة أبولو والتي مدحها بأبيات جميلة يقول في مطلعها :

أبولو مرحباً بك يا أبولو فإنك من عكاظ الشعر ظل^(٣)

(١) ديوان حافظ إبراهيم ، ٩٦/١ ، دار صادر ، الطبعة ١ .

(٢) أحمد شوقي الشوقيات ، تحقيق د/ علي عبدالمنعم صفحة ١٠٢ ، الطبعة ١ .

(٣) نفسه ، ص ٤٢٦ .

إن المتتبع لحياة أحمد شوقي يجد أن هذا الرجل عاصر أحداثاً متنوعة في حياته التي عاشها، ففيها ما هو المفرح وفيها ما هو المحزن، وقد ظهرت هذه الحياة المتنوعة في شعره واضحة جلية، ومما يجدر الإشارة إليه أن نفيه إلى أسبانيا وبعده عن وطنه زاد في التجربة عنده سواء على المستوى الشخصي أو الشعري، فمما هو معلوم أن الإنسان لن يستخرج من حياته فوائد إلا إذا مر بتجارب شديدة وقوية قد تتراوح قوتها صعوداً ونزولاً في ذات الوقت يتنازعها جانب الفرح والحزن ويتقاذفان صاحبهما يمناً ويسرة.

إن الحكمة في شعر أحمد شوقي شيء بارز وواضح وفي نفس الوقت تعتبر باباً للتأمل في شاعرية هذا الشاعر، ولست أدعي سبقاً في دراسة هذا الموضوع فقد وجدت من سبقني في الحديث عن الحكمة عند أحمد شوقي ولكن يبدو أن مكانة شوقي الشعرية وربما اتفاق شوقي مع المتنبي في جوانب كثيرة جعلته يتفق معه حتى في كثرة الباحثين في شعره كما كان هذا هو ديدن الباحثين مع المتنبي ولا زال.

ومن المعلوم أن الحكيم عند العرب هو الذي عصرته الحياة وشرب من حلوها ومرها واقتحم سراديبها وأذاقته صنوفها وأدارت إليها وجوهها غير أنني أرى أن من أهم ما شكل التجربة عنده والتي من نتائجها الحكمة هو أمرين رئيسيين:

الأول: حياته الأولى في نعيم القصر وقربه من الخديوي وبروزه علمياً وأدبياً ومرافقته لشيخه المرصفي الذي تكفل برعايته أدبياً كما تكفل الخديوي برعايته مادياً، ومع أنه مازال غضياً إلا أن الهبات الإلهية لا تمنح بحسب الأعمار، ولذلك وهبه الله الحكمة وسخرها شوقي في شعره ولذلك نجده يقول:

هذه حكمتي وهذا بياني لي بها نحو راحتك ارتقاء^(١)

فهو هنا يقرن الحكمة بالشعر ويجعلهما وسيلة معاً يكمل كل منهما الآخر.

ولقد وجدته محتاراً بين شخصيتين: الأولى شخصية شوقي المرحلة الشبابية وما كان في حياته الأولى من لهو، وما كرمته وصوا

لينها وغرفها إلا دليل على ذلك .

والشخصية الثانية : شخصية شوقي الشاعر الوقور الذي ينادي بالفضيلة ويدعو لإقامة المآثم والعيول على من يصابون في أخلاقهم ، ويبدو أحمد شوقي في هذه المرحلة شاعراً عظيماً الفيض ، خصب الشعاعية .

ولكي أنصف الرجل أقول إن السمة الدينية تظهر واضحة وجلية في شعره فليس من المعقول أن نجد لاهياً عابثاً يدعو إلى الفضيلة والأخلاق ، فيقول :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا^(١)

وقد نجد له عذراً في مرحلة اللهو من حياته ألا وهو نشأته المادية وقربه من القصر الملكي ، ولكن مع ذلك فإن شعره في هذه المرحلة لا يخلو من الحكمة.

الثاني: نفيه إلى أسبانيا ومع قصر هذه المرحلة إلا أن حرارة التجربة أشد في نظري وأقوى في صهر الرجال، ففي أسبانيا ذاق مرارة البعد عن الوطن والأهل، وفيها عاش حياة أقل مما ألقته نفسه في قصر الخديوي، فلما رجع إلى وطنه ظهرت شخصيته الأخيرة وهي نتاج وخلاصة للتجربتين التي خاضهما في حياته، ولذا أصبح شوقي المتحدث بلسان مجتمعه لا الباحث عن رضى ولي نعمته، وربما من نعمة الله عليه هذا النفي حتى يغرد شوقي بشعره حراً طليقاً وألا يظل محبوساً في سجن القصر ويبقى تغريده وفقاً على صاحب القصر .

قد يظن البعض أن الحكمة في شعر شوقي ظهرت بعد نفيه ولكن الأمر اللافت أن شوقي بدأ شعره حكيماً، بل ويقال أن أول أبيات قالها بين يدي شيخه المرصفي كانت تتخللها الحكمة وبها أجازته وقدمه للخديوي على أنه شاعر القصر، والملفت أيضاً أن يتغنى شاعر ما زال في ريعان شبابه شعراً تتخلله الحكمة ولما تعصره الحياة، فعلاً إنه أمر يستحق التوقف عنده والبحث في شخصية هذا الشاعر وكيف تكونت وعن جوانبه النفسية كيف أثرت في شعره .

(١) السابق، ص ١٠٣٣ .

الدراسات السابقة

في ظل بحثي عما كتب في هذا الموضوع قمت بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ولم أجد موضوعاً مسجلاً عندهم تحت مسمى (الحكمة عند شوقي المضامين والتشكيل) ، وطلبت منهم إعطائي أسماء الكتب والدراسات التي تحدثت عن شوقي والمسجلة لديهم فقاموا مشكورين بإرسال قائمة إلي بما طلبت فوجدت الكتب التي كتبت عن الشاعر أحمد شوقي كثيرة ، ولكن التي تناولت جانب الحكمة في شعر أحمد شوقي كانت محصورةً في الكتب والدراسات التالية ، وأجملها فيما يلي:-

أولاً:

كتاب : "خصائص الأسلوب في الشوقيات" لمحمد الهادي الطرابلسي .

ثانياً:

كتاب : "شوقي وقضايا العصر" للدكتور حلمي علي مرزوق ، فقد تحدث في الباب الثاني (عالم المثل أو المدينة الفاضلة عند شوقي) عن الحكمة التي صاغها شوقي في شعره.

ثالثاً:

كتاب "جراميات" للأديب علي الجارم. تحدث في موضوع الحكمة والأخلاق في شعر شوقي وهي مقالة نشرت له بمجلة الراديو المصري في العدد ٦٥٨ في ٢٥ أكتوبر ١٩٤٧م.

رابعاً:

كتاب (الدين والأخلاق في شعر شوقي) لعلي النجدي ناصف .

خامساً:

عرض في مجلة الفيصل العدد ١٩٩ لشهر محرم من عام ١٤١٤هـ لكتاب اسمه "شوقي" للمؤلف أنطوان الجميل، عرضه وناقشه الدكتور/ محمد عارف حسين .

سادساً:

بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العدد العشرين في شهر رمضان ١٤١٨هـ "الحكمة في شعر شوقي

الترابط بين القول والظرف" للدكتور عبد الرحمن السماعيل. والذي بدأه بمدخل في الحكمة ومفهومها في المعاجم العربية وعند العرب وتعرض لهبوط الشعر في بعض العصور الأدبية وتأثر الحكمة بذلك. ويرى الباحث الدكتور السماعيل أن الحكمة عند شوقي يمكن تقسيمها إلى نوعين:

(١) حكمة مطلقة وغير مقيدة بظرف ولا مناسبة وهي الأكثر عند شوقي.

(٢) حكمة مقيدة بمناسباتها وظروفها وهي قليل في شعره والمناسبات في شعره هي الدين والتاريخ والأحداث المعاصرة ويركز على الأحداث المعاصرة.

وجعل التركيب اللغوي هو الفصل في حكمة شوقي في حضورها وغيابها عند الناس ويستدل بدراسة محمد الهادي الطرابلسي في التراكيب اللغوية في الأبيات عند شوقي ويتفق معه^(١).

(١) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٠، رمضان ١٤١٨ هـ.

تساؤلات البحث

ونتيجة لما سبق ومن خلال قراءتي للحكمة في قصائد شوقي وجدت في نفسي تساؤلاً وهو : هل الحكمة عنده لها مضامين قصد شوقي أن نعرفها بطريق مباشر و غير مباشر ؟

- وهل هذه المضامين تشير دائماً إلى معنى واحد أم أن شوقي ينوع فيها؟

ثم لما نظرت في أبيات الحكمة وجدت لها رونقاً وجمالاً يسترعيان النظر ، فبرز سؤال آخر وهو:

- كيف تشكلت الحكمة عنده ؟

هل قامت على اللغة الشعرية وحدها ؟ أو على الصورة ؟ أو على الإيقاع الشعري داخل القصيدة؟ ثم موقع أبيات الحكمة من القصيدة هل له أثر في دلالاتها ؟ ولهذا سأقوم مستعيناً بالله عز وجل في بحثي هذا مستخدماً (المنهج الوصفي التحليلي) إلى جانب الاستقصاء في عرض لبعض أبيات الحكمة وليس كلها لصعوبة استقصائها ، ورأيت أن يقوم بحثي على الأمور التالية:

خطة البحث :

● المقدمة.

● التمهيد :

- معنى الحكمة .

- الحكمة في القرآن:

وذكرت آيات من كتاب الله الكريم ذكر الله فيها كلمة الحكمة.

- الحكمة في السنة:

وأوردت هنا الأحاديث النبوية التي ذكر الرسول ﷺ فيها كلمة الحكمة .

- الحكمة في الشعر العربي:

وفي هذا المبحث تحدثت عن الحكمة في الشعر العربي ، من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث عن طريق شعراء جعلتهم نماذج لكل عصر حتى انتهيت إلى الشاعر أحمد شوقي .

- مصادر الحكمة عند شوقي .

- موازنة بين الحكمة عند شوقي والمتنبي.

- العلاقة بين الشعر والفكر .

- أبيات الحكمة عند شوقي وأقسامها .

قمت بكتابة أبيات الحكمة في الشوقيات والمسرحيات الشعرية ، مقسماً الأبيات إلى قسمين:

- حكمة عملية : ويدخل فيها المضامين الاجتماعية والسياسية المستقاة من التجارب والأحداث .

- حكمة نظرية : ويدخل فيها المضامين النفسية والتاريخية وما اشتملت على الفكر والتأمل .

● الفصل الأول:

- الحكمة العملية: وأتيت بنماذج عليه وقمت بتحليلها .

- الحكمة النظرية : أيضاً أتيت بنماذج وقمت بتحليلها .

● الفصل الثاني:

- اللغة في شعر الحكمة:

وتحدثت في هذا المبحث عن:

١- التراكيب بأنواعها. ٢- البديع وصوره.

- الإيقاع:

وقسمت الإيقاع إلى نوعين :

١- إيقاعٌ داخلي. ٢- إيقاعٌ عام .

ثم ذكرت مفهوم الإيقاع عند بعض القدماء والمحدثين. وأوردت أمثلةً على كل ذلك .

- موقع أبيات الحكمة في القصائد.

* * *

وختاماً:

أتقدم بشكري الوافر الجزيل لله أولاً ، ثم لسعادة الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الواحد ، الذي تولى الإشراف على هذا البحث، ومنحه من وقته وجهده الكثير، ولما أولاني من رعايةٍ واهتمام كان لهما الأثر عليّ وعلى البحث ، فكان رافداً لي من روافد المعرفة فجزاه الله خير الجزاء.

كما لا أنسى أن أشكر سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله باقازي الذي كان مرشداً لي في بداية إعداد هذا البحث وكان له الفضل بعد الله في اختياري لهذا الموضوع الشيق الجميل.

والشكر موصولٌ لجامعة أم القرى ممثلةً في كلية اللغة العربية، وقسم الدراسات العليا فيها، ولكل أساتذتي ولعميد الكلية، ولسعادة رئيس قسم الدراسات العليا، ولكل أعضاء هيئة التدريس.

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلةً في وكيلها
لشئون المعاهد العلمية على موافقته لي على الدراسة ، وأشكر مدير
المعهد العلمي في محافظة الطائف وزملائي المعلمين على مساعدتهم
لي أثناء فترة الدراسة.

وأشكر شكراً خاصاً أسرتي ومن وقف بجانبني ومن كان له فضلٌ عليّ
قلّ أو أكثر.

وهذه الدراسة ما هي إلاّ عملٌ بشريٌّ معرضٌ للخطأ وللصواب ،
فإن أصبت فمن الله وله الحمد على ذلك، وإن أخطأت فمن نفسي
والشيطان وأستغفر الله على ذلك ، وصلى الله وسلم على النبي الكريم
وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين .

التمهيد

التمهيد:

قال ابن منظور في مادة (حكم) :

« الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين ، وهو الحكيم له الحكم ، سبحانه وتعالى . قال الليث : الحَكَمُ الله تعالى. وقال الأزهري : من صفات الله الحَكَمُ والحكيم والحاكم ، ومعاني هذه الأسماء متقاربة ، والله أعلم بما أراد بها ، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه»^(١) .

وقال ابن الأثير : في أسماء الله تعالى الحَكَمُ والحكيم وهما بمعنى الحاكم ، وهو القاضي ، فهو فعيلٌ بمعنى فاعل ، أو هو الذي يُحَكِّمُ الأشياء ويتقنها ، فهو فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ ، وقيل الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . ويقال لمن يُحَسِّنُ دقائق الصناعات ويتقنها : حَكِيمٌ^(٢) .

وقال الجوهري : الحكمة من العلم ، والحكيم العالم وصاحب الحكمة . وقد حَكَمَ أي صار حكيماً ، قال النمر بن تولب :
وأبغض بغيضك بغضاً رويداً إذا أنت حاولت أن تحكماً
أي إذا حاولت أن تكون حكيماً .

قال الله تعالى : (پ پ پ) أي علماء وفقهاء ، هذا ليحي بن زكريا^(٣) .

وفي الحديث : « إن من الشعر حكمة »^(٤) أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما .

(١) لسان العرب ، ابن منظور، (مادة حكم) ص ٦٨٨ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٣٧٩، المكتبة العصرية ، ط ١ .

(٣) الصحاح ، الجوهري، ٢٢٥/٥، دار الكتب العلمية، طبعة ١ .

(٤) صحيح البخاري، ص ١٠٧١ .

الحكمة في السنة

وردت كلمة (الحكمة) في السنة المطهرة وكانت كل معانيها متوافقة في المعنى وإن اختلفت الأحاديث في ألفاظها ، ولذا سأذكر بعض الأحاديث التي ورد فيها ذكر الحكمة :

١- عن أبي بن كعب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « إن من الشعر حكمة »^(١) .

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضمنى النبي ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علمه الحكمة »^(٢) .

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله قال : قال النبي ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »^(٣) .

٤- كان أبو ذرٍّ يُحدِّث أن رسولَ الله ﷺ قال : «فُرجَ عن سَقَفِ بيتي وأنا بمكة، فنزلَ جبريلُ ففرجَ صدري، ثمَّ غَسَلَهُ بماءِ زمزمَ، ثمَّ جاءَ بطِستٍ من ذهبٍ ممتلئٍ حكمةً وإيماناً فأفرغَهُ في صدري ثمَّ أطبقَهُ ، .. الحديث »^(٤) .

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها »^(٥) .

٦- عن أبي خَلاَّدٍ ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ»^(٦) .

٧- عن أبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ يَسْمَعُ الْحِكْمَةَ ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ عَنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِشَرٍّ مَا يَسْمَعُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا، فَقَالَ : يَا رَاعِي أَجْزَرْنِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ . قَالَ : اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ

(١) البخاري ، (٦١٤٥) ص ١٠٧١ .

(٢) نفسه ، (٣٧٥٦) ص ٦٣١ .

(٣) نفسه ، (٧٣) ص ١٧ .

(٤) نفسه ، (٣٤٩) ص ٦٢ .

(٥) سنن ابن ماجه ، المكتبة العصرية ، بيروت، ط١ (٤١٦٩) ص ٧٣٨ .

(٦) نفسه ، (٤١٠١) صفحة ٧٢٧ .

خَيْرَهَا. فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ»^(١).

مما سبق من أحاديث نبوية شريفة ، أجد أن لفظ الحكمة فيها يدل على المعنى العام لهذه الكلمة وهو : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ووضع الأمور في مكانها المناسب ، والرأي الصائب ، وكل عمل أو قول ينمان عن عقلية صاحبهما وحسن تصرفه .

(١) نفسه ، (٤١٧٢) صفحة ٧٣٩ .

الحكمة في الشعر العربي

الحكمة موجودة في الشعر العربي منذ نشأته وعلى مر عصوره الأدبية إلى عصرنا الحاضر ، وهذا الأمر طبيعي لأن الحكماء من الشعراء وجدوا في كل زمان ، إلى جانب أن الناس دائماً يحتاجون إلى من يرشدهم أو يستخلص لهم عبر الزمان . والشعر يعد أحد الأدوات المهمة عند العرب في إيصال المعلومة والفكرة وما ذاك إلاّ لحب العرب للشعر .

فإذا ما استعرضنا الشعر العربي وجدنا شعراء كثيراً ملئوا شعرهم حكمةً أفادت الناس في زمنهم ، وأفادت من جاءوا بعدهم ، وأول ما أبدأ به العصر الجاهلي: الذي عده المؤرخون أول العصور الأدبية ، وأختار منه حكيم الشعراء في الجاهلية زهير بن أبي سلمى كمثالٍ يغنيني عن كثيرٍ من غيره من شعراء العصر الجاهلي في غرض الحكمة ، فهو الأبرز فيه وسأورد أمثلةً من شعره في الحكمة ، لكن قبل ذلك سأذكر نبذةً مختصرةً عن الشاعر ، هو زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة ويعود نسبه إلى مضر بن نزار ، ولد في بلاد مزينة وكان يقيم في الحاجر ، قال عنه الأصبهاني :

« وأحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ القيس ،

وزهير ، والنابغة الذبياني» (١) .

قيل عنه أنه كان نصرانياً لكن ابن قتيبة قال : (كان زهير يتأله ويتعفف ، في شعره ، ويدل شعره على إيمانه بالبعث وذلك قوله :
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يُكتم الله يعلم .
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم (٢)

امتلاً شعره بالحكمة التي استخلصها من تجارب حياته الطويلة ، قال الدكتور حنا نصر الحتي : « وأراؤه ليست إلا من أوليات الفكر الإنساني وتفكير الشعب، وهذه الآراء هي التي جعلته قريباً من الشعب لأنه كان يكلمه فيها بما يعرف ويألف ..، ومما يدل على تعقله وحذركته وسعة صدره حكمه في معلقته . وقد جمع خلاصة التقاضي في بيت واحد وهو:

وإن الحق مقطعه ثلاثٌ :
يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءٌ

ولا ريب أن لكبر سنه تأثيراً في خمود عاطفته وضعف خياله ، فكل شعره يدلنا على أنه نظمه في حرب داحس والغبراء ، وبعدها ، خاصةً عندما بلغ الثمانين ، على حد قوله أو تجاوزها ، فمن البديهي أن يغلب عليه التعقل والترصن ، وأن يكون للعقل العمل المهيمن في نتاجه الشعري (٣) .

ثانياً : عصر صدر الإسلام : وهو منذ البعثة حتى خلافة معاوية رضي الله عنه ، وهو عصر النور والخير والهداية وتقويم عقول الناس وقلوبهم وأخلاقهم ، وبما أن العرب يحبون شعرهم ، فقد استمروا في قوله لكنه ظهر مهذباً متأثراً بالقرآن والسنة ،، وقال عليه السلام : « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلٌ

(١) الأغاني ، لأبي الفرج ، ٢٩٨/١٠ ، مصور عن طبعة دار الكتب .

(٢) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور عمر الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١ ، ص ٧٨ .

(٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه أبو العباس ثعلب ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ حنا الحتي ، ص ١٦ ، دار الكتاب العربي .

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»^(١).

فالنبي عليه السلام اختار من شعر لبيد ما فيه حكمة ، فليبد يقول في عجز البيت السابق « وكل نعيمٍ لا محالة زائل » .

مما جعل قول الحكمة في الشعر يصبح مطلباً لكل شاعر ، وكان الشعر في هذه المرحلة مسخراً لخدمة الإسلام ، وسأختار من شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه أنموذجاً لهذه المرحلة الأدبية ، الشاعر المخضرم الذي يعد أشهر من دافع بشعره عن الإسلام وعن النبي ﷺ ، وأما عن اسمه فهو : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ، من بني النجار ، شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جانب صاحبيه ابن رواحة وكعب ابن مالك رضي الله عنهما ، لكن حسناً كان الأبرز بشهادة النبي ﷺ ، فهو شاعر الإسلام الأول ، فقد سُمع حسان يستشهد أبا هريرة فيقول : يا أبا هريرة ، نشدتك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ ، اللهم أيده بروح القدس » قال أبو هريرة : نعم^(٢) . وفي حديث البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسان : « اهجهم - أو قال : هاجهم - وجبريل معك »^(٣) . فمما سبق يتبين لنا مكانته رضي الله عنه .

وانشغاله بشعر الدعوة الإسلامية ربما قلل من أغراض الشعر الأخرى ومن ضمنها الحكمة . ولقد بحثت في ديوانه عن أبياتٍ في

(١) البخاري، (٦١٤٧) ص ١٠٧١.

(٢) السابق، (٦١٥٢) .

(٣) نفسه، (٦١٥٣).

الحكمة فوجدهت له :

حرباً يشيب لها الوليد وإنما
يأتي الدنية كل عبدٍ نحنج^(١)
وقوله أيضاً :

وذي شيمةٍ عسراء تُسخطُ
أقول له دعني ونفسك أرشيدِ
فما اسطعت من معروفها فتزود
فما المال والأخلاق إلا معارةُ
متى ما تقدُّ بالباطل الحق يأبهُ
وإن قدت بالحق الرواسي تنقدي
متى ما أتيت الأمر من غير
ضللت وإن تدخل من الباب
فلا يبعدنك الله عبد بن نافذٍ
ومن يعلُّه ركنٌ من الترب
(٢).

ثالثاً: العصر الأموي :

ويبدأ من خلافة معاوية رضي الله عنه حتى قيام الدولة العباسية ،
والسمة البارزة في شعره الشعر السياسي نظراً لكثرة الفتن فيه ،
وسيكون الشاعر جرير هو النموذج الذي سأختاره لهذا العصر . هو
جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم :
أشعر أهل عصره^(٣)

ربما أنه كان منشغلاً بمدح بني أمية وبالتهاجي مع الشعراء
(النقائض) إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون شعره مشتملاً على الحكمة
، يقول جرير :

تعودُ صالح الأعمال إنني رأيت المرء يلزم ما استعادا^(٤)

العصر العباسي :

ولن أقتصر على شاعرٍ واحدٍ وسأذكر شاعرين هما : أبا تمام ،
والمتنبي ، وسأورد نماذج لهما في شعر الحكمة ، فأبدأ بأبي تمام ،

(١) شرح ديوان حسان ، شرح البرقوقى ، دار الكتاب العربي،بيروت،٤٢٧هـ، ص٨٣ .

(٢) نفسه ، ص ١١٣ .

(٣) الشعر والشعراء ، ص ٣٣٩ .

(٤) شرح ديوان حسان ، ص ١٤٨ .

عرّف له الزركلي فقال :

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أبو تمام الشاعر ، الأديب .
أحد أمراء البيان ، .. كان أسمراً طويلاً فصيحاً ، حلو الكلام ، فيه
تمتمةٌ يسيرةٌ ، يحفظ أربعة آلاف أرجوزةٍ من أراجيز العرب غير
القصائد والمقاطع ، في شعره قوةٌ وجزالةٌ (١) .

قيل عنه وعن المتنبي والبحتري : « أبو تمام والمنتبي حكيمان
والشاعر البحتري » ، إذن هذه شهادةٌ من العارفين بالشعر لأبي تمام
والمنتبي باعهما الطويل في الحكمة في شعرهما مما قال أبو تمام في
الحكمة :

نقل فؤادك حيث شئت من ما الحب إلا للحبيب الأول
كـم منزل في الأرض يألفه وحنينه أبداً لأول منزل (٢)

وأنتقل إلى الحديث عن المنتبي الشاعر الحكيم « أحمد بن الحسين
بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، أبو الطيب المتنبي :
الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، له الأمثال السائرة والحكم
البالغة والمعاني المبتكرة ، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين
» (٣) .

المنتبي علمٌ من أعلام الشعر العربي ، وحالةٌ نادرةٌ من مواهب
الشعر النادرة ، ومع أنّ وفاته مضى عليها زمنٌ طويلٌ ، إلا أنّ شعره
ما زال حياً بيننا ، ولا يزال المتنبي شاغل الناس كما قال ابن رشيق ،
ومن الأسباب الرئيسية في احتفاء الناس بشعره : حكمه السائرة ، وهي
من الأمور التي اتفق عليها النقاد ، ولذا فإن تصنيفه مع أبي تمام من
ضمن الحكماء ، مرده كثرة الحكمة التي للمنتبي في شعره وانتشرت بين
الناس ، ولا أظن أنني سأزيد بقولي على من سبقوني ، فالمنتبي استطاع
أن ينحت نفسه في ذاكرة تاريخ الأدب العربي وأن يكون الشاعر
الحاضر الغائب دائماً حاضرٌ بشعره وحكمته ، والغائب بروحه وجسده

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق الدكتور/إحسان عباس، دار صادر الجزء الأول،
ص ١٢١ .

(٢) شرح ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٧هـ، ج ٢
ص ٢٩٠ .

(٣) وفيات الأعيان، ص ٣٦ .

، ولو أردت أن أفيض في الكلام عنه لما كفتني صفحاتٌ قلائلٌ ،
فالممتنبي لا بد من إفراده في الدراسة البحثية ، فهو بحرٌ في الشعر
وحسبي قوله :

وما الدهر إلاّ من رواة إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فَسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يُغني مغرداً^(١)

ومن حكمه التي سارت بين الناس قوله :

تريدين لقيان المعالي رخيصةً ولا بد دون الشهد من إبر النحل^(٢)

* * *

بعد الحديث عن العصر العباسي وعن أبرز شعرائه الحكماء أنتقل
إلى عصرٍ آخرٍ زاهرٍ من عصور الأدب وهو : العصر الأندلسي ،
العصر الزاخر بالشعر والنثر ، والذي تسابق شعراؤه على القول في
شتى أغراض الشعر وساروا على نهج أهل المشرق بل وتفوقوا عليهم
في وصف الطبيعة ورثاء المدن والممالك الزائلة ، وهو كالعصر
العباسي مر بمراحل القوة وبمراحل الضعف ، وما حدث فيه من فتن
وتقلبات الأيام كان داعياً لقول الحكمة ، ومصدراً من مصادرها ،
وسأختار أنموذجاً لشعر الحكمة الشاعر يحيى بن الحكم الغزال : «
يحيى بن الحكم البكري الجياني المعروف بالغزال : شاعرٌ مطبوع ، من
أهل الأندلس ، امتاز نظمه الجيد الحسن بالفكاهة المستملحة ، وكان
جليل القدر ، مقرباً من أمراء الأندلس وملوكها من بني أمية»^(٣) .

وقال في الحكمة :

ألست ترى أن الزمان طواني وبدل خلقي كله وبراني
ولو كانت الأسماء يدخلها البلى لقد بلى اسمي لامتداد زماني
ومالي لا أبلى لتسعين حجةً وسبع أتت من بعدها سنتانـ

(١) ديوان المتنبي ، شرح العكبري، ٢٩١/١، دار المعرفة .

(٢) نفسه ، ٢٩٠/٣ .

(٣) نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان

عباس، دار صادر - بيروت ، الجزء الثاني، ص ٢٥٤ .

فيا راعباً في العيش إن كنت ^{١١١} فلا وعظ إلا دون لحظ عيان^(١)

* * *

رابعاً : عصر الحروب الصليبية : ويراد بها الحروب التي قامت بين المسلمين في المشرق وبين الصليبيين القادمين من أوروبا لاحتلال بيت المقدس وبلاد الشام ، وكان للشعر فيه دورٌ واضحٌ في الدعوة إلى الجهاد ، وتحميس الجيش ، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين ، ولذا لن يكون شعر الحكمة في هذا العصر بارزاً بسبب انشغال الشعراء بالجهاد ، ولكنها وجدت ضمن القصائد وإن ندرت وسأختار أسامة بن منقذ أحد شعراء هذا العصر وهو : أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، له شعر في الحكمة فيقول :

قالوا نهته الأربعون عن الصبا وأخو المشيب يجورُ ثَمَّتَ
كم جار في ليل الشباب فدلُّهُ صبح المشيب على الطريق
وإذا عددت سنيَّ ثم نقصتها زمنَ الهمومِ قتلِك ساعة مولدي^(٢)

* * *

ثم يكون الحديث الآن عن عصر الدول المنتابفة ، ويقصد بها الدول التي نشأت بين سقوط بغداد وبين عصر النهضة وأشهرها : دولة المماليك ، والدولة العثمانية ، وسأختار الشاعر : عمر بن مظفر بن الوردى ، لأن له قصيدة مشهورة في الحكمة اسمها اللامية أو الوصية ، وهي حكيميةٌ تبلغ سبعاً وسبعين بيتاً يقول فيها :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لأيام الصبا فلأيام الصبا نجمٌ أفل^(٣)
واهجر الخمرة إن كنت فتىً كيف يسعى في جنونٍ من عقل

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط بغداد، الدكتور أحمد هيكل، دار المعارف، ط١٢،

ص ١٦٢ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، للدكتور عمر فروخ ، ٣/٣٩٥ ، دار العلم للملايين ، الطبعة ٧ .

(٣) نفسه ، ص ٧٧٠ .

واتقِ الله ، فتقوى الله ما
 ليس من يقطع طرُقاً بطلاً
 جاورت قلب امرئٍ إلاّ وصل
 إنما منء يتقِ الله البطل
 اطلب العلم ولا تكسل فما
 أبعد الخيرات عن أهل الكسل
 حبُّك الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ
 فاغتربْ تلقَ عن الأهل بدل^(١)

ونصل بعد كل هذا إلى العصر الحديث ، ولو أردت أن أختار شاعراً ليكون أنموذجاً لهذا العصر ، لما وجدت أفضل من أمير الشعراء : أحمد شوقي، فهو الشاعر الذي امتلأ شعره بالحكمة حتى أصبح شاعرها ، والمتحدث بلسانها .

يقول الدكتور شوقي ضيف : (شوقي ألمع شاعر في تاريخ أدبنا العربي الحديث لتعدد نواحيه الفنية ، وتشعب آثاره الأدبية)^(٢) .

ولن يكون حديثي عن شوقي كحديثي عن الشعراء السابق ذكرهم ، بل هو موضوع الدراسة ، فأسأل الله عز وجل أن يوفقني في إبراز جانب الحكمة عند شوقي ، وسأقوم بدراسة مصادر الحكمة عنده التي استطاع من خلالها أن يقول هذا الكم الكبير من الحكمة في شعره .

(١) نفسه ، ص ٧٧٠ .

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث ، للدكتور/ شوقي ضيف ، ص ٥، دار المعارف الطبعة

مصادر الحكمة عند شوقي

١ - نشأته :

إن المتأمل في حكمة شوقي التي في قصائده ليأخذه العجب كل مأخذ ليسأل نفسه عن ثقافة شوقي التي استطاع بها أن يتربع على عرش إمارة الشعر في العصر الحديث . وقد بحثت عن مصادر ثقافته فوجدته متنوع الثقافة ، بل إن التنوع معه منذ لحظاته الأولى في الحياة ومرد ذلك إلى التنوع العرقي في نسبه ، فلقد اختلط دمه بالدم التركي وبالدم اليوناني وبالدم العربي ، وكل مثقف يعرف ما لليونانيين من باع طويل في الأدب الإنساني وبالذات في الشعر . وأما العرب فهم أهل الشعر بلا منازع ولذا فقد أشرب حب الشعر والأدب من الجهتين .

ولا تقوده نشأته بعيداً عن التنوع فمن الناحية الأسرية أجد أن اعتناء جدته (تماضر) ^(١) به أضفى على حياته شيئاً من الخصوصية الأدبية حيث نشأ على لغة الاحترام والتبجيل في ظل حياته معها في قصر الخديوي الذي دخله يافعا في حين أن غيره يمضي النفس بدخوله ولو لمرة واحدة ، ويظهر أن جدته كانت تمتلك ذوقاً أدبياً أورثته شوقي لا يقل عن ذوقها التعاملي فقد وجدت في ردها على الخديوي « في قصة جنيهات الخديوي وعيني شوقي » ^(٢) رداً أدبياً جميلاً يحمل في طياته ذكاء الشاعر في لفت نظر ممدوحه إلى أمر بطريقة غير مباشرة ، ويظهر أن المحيطين به كانوا محبين للأدب إن لم يكن لذات الأدب فلأجل أحمد شوقي ولا أدل على ذلك من والده الذي اكتشف أحمد شوقي أنه كان معنياً بجمع الكثير من المنثور والشعر مانشر ومالم ينشر ، يقول شوقي في مقدمة ديوانه : « كانت وفاة والدي من نحو ثلاث سنوات ، فكان لي عجباً أن وجدت من مشتت منظومي ومنثوري ، مانشر منها وما لم ينشر ، قد كتب بعضه بالحبر والبعض الآخر بالرصاص ، والكل خط يد المرحوم ، وقد لفته في ورقة كتبت عليه هذه العبارة » هذا ماتيسر لي جمعه من أقوال ولدي أحمد ، وهو يطلب العلم في أوروبا ، فكنت كأني أراه . وإني أمره أن بجمعه ثم ينشره للناس لأنه لا يجد بعدي من يعتني بشؤونه ، وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والآداب » ^(٣) .

إلى جانب هذا كانت جدته سبباً في فتح أول أبواب الثقافة الشعرية

(١) انظر الشوقيات، تحقيق الدكتور علي عبدالمنعم، لونيحمان، مصر، ط١، ص٩٥

(٢) الشوقيات ، ط١، القاهرة دار نوبار بالقاهرة ، ص٩٥ .

(٣) السابق، ص ١٠٠ .

لحفيدها أحمد حينما لاحظ عليه أحد الموجودين بالقصر وأحد المعنيين بالشعر وهو (الشيخ حسين المرصفي) نبوغه الشعري ومثله الشيخ البسيوني والشاعر إسماعيل صبري ، ويبدو أن قدرة الله عز وجل شاءت لشوقي أن تُبنى لبنات ثقافته الأولى على أيدي أديباء مهتمين بالشعر الإسلامي ومن رجالات الأزهر حتى تكون أرضه الثقافية صلبة لأن التنوع الذي سيواجهه في باقي حياته سيكون مختلفاً عن دينه وأدبه . ولا بد من القول بأن الشيخ البسيوني كان له الفضل بعد الله في الكشف عن موهبة شوقي الشعرية ، فهو الذي لفت نظر الخديوي إلى موهبة شوقي والذي لم يتوان حيال ذلك فقد أعجب به واهتم به اهتماماً كبيراً .

* * *

٢ - القراءة والاطلاع

يأتي بعد ذلك مرحلة التكوين الثقافي من خلال القراءة والاطلاع المدرسي أو من خلال الاطلاع الشخصي من قبل شوقي ، ويظهر هذا الأمر واضحاً في شخصيته الشعرية وبالذات في ناحية استخدامه للألفاظ ، مما يدل على أنه اطلع على الشعر القديم في جميع عصوره (الازدهار والانحطاط) والدليل على ذلك ما أورده الدكتور أحمد علي الجارم عن والده : وكنت أعرف أن شوقي كثير القراءة ولكنني لم أكن أظن أنه يعنى بقراءة الشعر في عصور تراجعته ، حتى زرتة يوماً وكان مريضاً ، وكانت حجرة نومه صغيرة قليلة الأثاث . دخلت عليه فإذا هو في سرير صغير ، وقد بعثرت الكتب حوله عن يمين وشمال فمددت يدي إلى أحدها فإذا هو خزانة الأدب لابن حجة الحموي ،

فسألته في استنكار : أتقرأ مثل هذه الكتب ؟ . إن أكثر ما فيها شعر صناعي ليس به إلا زخرف لفظي وبراعة في التزييق (فابتسم وقال : (إن الشاعر يا أخي يجب أن يقرأ كل شعر، وإن هذا الكتاب كاسمه خزانة الأدب، وخير ما فيه شعر العصر المملوكي) . تم اتجه نحوي وقال : (أنتهين بشعر المماليك ؟) فقلت : (إنه لا يعدو أن يكون لعباً بألفاظ على حساب المعاني ، وعناية بالنكته والتورية) فابتسم وقال : (إن شيئاً من ذلك لو عرض لي في شعري لعدته غنماً فنياً، إننا يا أخي فتنا بشعر بغداد فأضعنا كثيراً من مقومات بيتنا المصرية ، وشعر المماليك شعر مصري قديم ، وإن في ديوان ابن نباتة الذي نبذناه كبراً وتعاضماً العجب العجاب من روائع الفن وحلاوة الروح المصرية المرححة) (١) .

إذن فشوقي أثناء اطلاعه على الموروث الشعري للعرب لم يكن ينتقي ويختار بل كان همه أن يصل حبله الثقافي وأن يجمع أكبر قدر من الأساليب وأنواع التراكيب على مر العصور ، إلا أن الاختيار يظهر لي واضحاً وجلياً عندما عارض شوقي قصائد شعراء سبقوه مما يدل على أنه جعل قراءته تجميعاً ثم انتقى دون أن يلغي ما كان سوى ذلك الانتقاء بل ظل معه وفي شعره يستظل بسمائه ويغرف من بحره .

ولذلك وجدته يذكر أسماء شعراء في مقدمة ديوانه ويشيد بهم فذكر امرئ القيس ونسب إليه جمع الشعر ولمه (٢) . ثم ذكر أبا العلاء وتجاربه الحياتية ، وعرج على أبي العتاهية في شعر الموعظة ولكن وقفته كانت مع المتنبي ، ويقول عن ذلك في مقدمته لسينيته التي وصف بها قصر الحمراء بغرناطة وبكى الحضارة الأندلسية : « وكان البحري رحمه الله رفيقي في هذا الترحال وسميري في الرحال ، والأحوال تصلح على الرجـال ، كـرجـال ، فإنه أبلغ من حلى الأثر ، وحيا الحجر ، ونشر الخبر ، وحشر

(١) جارميات، ط١، دار الشروق ، ص ٣١٤ .

(٢) انظر الشوقيات ، ص ٨٧ .

العبر ، ومن قام في مآتم على الدول الكبر ، والملوك البهاليل الغرر ،
وتكفل لكسرى بايوانه ، حتى زال عن الأرض إلى ديوانه ، وسينيته
المشهوره في وصفه ليست دونه وهو تحت كسرى في رصه ورففه ،
وهي تريك حسن قيام الشعر على الآثار ، وكيف تتجدد الديار في بيوته
بعد الاندثار...، فكنت كلما مررت بحجر ، أو طففت بأثر ، تمثلت بأبياتها
، واسترحت من موائل العبر إلى آياتها، وأنشدت فيما بيني وبين نفسي :
وعظ البحترى إيوان كسرى وشفئني القصور من عبد شمس

ثم جعلت أروض القول على هذا الروي ، وأعالجه على هذا الوزن
، حتى نظمت هذه القافية المهلهلة ، وأتممت هذه الكلمة الریضة»^(١) .

ياله من إشادة يستحقها البحترى من شاعر عظيم ، على قدرته على
جمال الوصف وتناغم الألفاظ مع ارتفاع الصوت وانخفاضه ، يقول
الدكتور شوقي ضيف رحمه الله : « وكان شوقي موكلاً بشعراء
العربية الممتازين في موسيقاهم جميعاً ، فهو يتعقبهم ، يريد أن يشبع
أذنه من أصواتهم وما استخرجوه من ألحان واعتصروه من أنغام ،
فيوماً مع البحترى ، ويوماً مع ابن الرومي ويوماً مع مهيار أو
الشريف الرضي . ويخيل إلى الإنسان أنه لم يبق لحن أو لم تبق قصيدة
في العربية إلا وشد رحاله ليستمع إليها ، ولا يكتفي بذلك غالباً ، بل ما
يزال يشحذ خياله وقيثارته ليعارض هذا اللحن أو تلك القصيدة ، ومن
أجل ذلك كثرت المعارضات في شوقياته ، فتارةً يعارض ابن زيدون
في نونيته ، وتارةً يعارض البوصيري في بردته ، وتارةً يعارض
الحصري في داليتة»^(٢) .

وإنني أرى أن هذه المعارضات ماهي إلا دليل على سعة اطلاع

(١) شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٧٣ .

(٢) نفسه، ص ٧٤ .

شوقي على الموروث الشعري القديم ، وعلى حبه وإجلاله له ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما احتفى به وقام يعارضه وينسج على منواله ، فقد أطلق لنفسه العنان في تقليب صفحات التاريخ الماضي ولم يقصر نفسه على الشعر والأدب فقط ، فعندما نقرأ شعره نجد هناك إشارات تاريخية وذكرًا لأحداث مضت في صفحات التاريخ ، مما يعني أنه كان واسع الثقافة ، فقد كتب شعراً عن التاريخ الإسلامي صاغ فيه أحداث ذلك العصر العظيم وأسماء (ديوان العرب وعظماء الإسلام) ، وذكر السيرة النبوية العطرة وعدداً من الغزوات في عصر فجر الإسلام ، كقوله في قصيدته (توت عنخ آمون) :

« والعلم بدريُّ أحلَّ لأهله ما يصنعون »^(١) .

فكلمة بدري يقصد بها غزوة بدر الكبرى ، وقد قال النبي ﷺ : لعلَّ الله اطلع على أهل بدر وقال : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »^(٢) .

* * *

٣ - ثقافته الأجنبية

لم يقتصر شوقي على الاطلاع على الموروث العربي فقط بل تجاوز ذلك إلى الاطلاع على الثقافات الأجنبية ، ساعده على ذلك إتقانه للغة الفرنسية التي عاش في بلادها واتصل بأدبها اتصالاً مباشراً عن طريق الرحلة العلمية التي قام بها مبتعثاً بأمر من الخديوي إلى فرنسا ، فبعد المكانة التي نالها شوقي في قلب الخديوي ، أراد الخديوي أن يواصل كرمه مع شاعره بأن يواصل دعمه له وأن يكون من أسباب بناء ثقافته فابتعثه إلى باريس وعلى نفقته الخاصة ، ليدرس الحقوق والآداب ، فقبل شوقي ذلك وسافر ودرس سنتين في جامعة (مونبيليه) وأتيحت

(١) الشوقيات ، ج الثاني ، ص ٩٥ .

(٢) صحيح البخاري ، (٣٩٨٣) ، .

له أن يزور إنجلترا فكان من نتاج الرحلتين أن اطلع على روائع الأدب الفرنسي ولمس عن قرب الفن والحضارة في أوروبا ، واطلع على شعر (لافونتين) وترجم (البحيرة) و(هوغو) و (لامارتين) وفي المقابل أعجب ب(شكسبير) وبشعره المسرحي، ومنه استقى فكرة الشعر المسرحي الذي يعد فيه علماً بارزاً ورائداً .

وفي باريس تعرف على شخص من محبي الأدب العربي وشده بينهما رباط المحبة والصداقة وثاقه وهو(شكيب أرسلان) والذي يقول بنفسه عن ذلك اللقاء : (وفي أثناء لقائنا الأول كنا نتذاكر حول أمور كثيرة ولكن أهم حديث كنا نخوض فيه هو الشعر ،وأنا الذي أشار عليه بأن يجمع قصائده ويجعل منها ديواناً يسير في الأقطار فسألني : وأي اسم أعطيه ؟ فقلت له : سمه بالشوقيات فنسبة هذا الشعر إليك كافية (^(١) . ولعلني اذكر هنا أبياتاً لشوقي عن صحبته شكيباً فيها دلالة على عمق الصداقة التي جمعتهما :

صحبت شكيباً برهة لم يفز بها سواي على أن الصحاب كثيرُ
حرصت عليها أنه ثم أنه كما ضنّ بالماس الكريم خبيرُ
فلما تساقينا الوفاء وتم لي وداً على كل الوداد أميرُ
تفرق جسمي في البلاد وجسمه ولم يتفرق خاطر وضميرُ ^(٢)

إذن استطاع شوقي أن يبني لنفسه ثقافة واسعة ومتعددة ، شكلت له – إلى جانب موهبته الشعرية – شخصيته الشعرية والتي يعد جانب الحكمة فيها واضحاً ، مع أن الحكمة لا تأتي إلا من التجارب ومعاصرة الأحداث ، ولربما سأل سائل : ما التجارب التي صنعت من أحمد شوقي شاعراً حكيماً ؟ وكما هو معروف عنه حياته المخملية التي كان يعيشها وميله للهو وداره التي أسماها (كرمة ابن هاني) أقوى دليل على ذلك ، فأقول : إن حياة شوقي في نظري يمكن أن نجعلها على قسمين : الأول: حياة الشباب واللهو إبان وجوده تحت ظل عرش صاحبه وممدوحه الخديوي ، والثاني : وهي في نظري الأهم في التجربة عنده (مرحلة المنفى وما بعدها) ، لأنها هي التي أتاحت له الانطلاق التفكري

(١) شوقي أو صداقة أربعين سنة، شكيب أرسلان ، ط١، دار الفضيلة، ص ١١ .

(٢) نفسه ، ص ١١ .

لأنه قبل ذلك كان كالبلبل الغريد لكنه في قفص القصر ، لا يقول إلا ما يرضي ممدوحه ولا يفكر في غير ذلك ، لكنه لما نفي إلى أسبانيا وتخلص من سجنه الذهبي مع ما في المنفى من معاني الضعف والقهر والانكسار إلا أنها كانت فرصة سانحة له أن يطلق العنان نفسه ولبصيرته وأن يعمل فكره في الأحداث وأن يتغير حتى في توجهه الشعري فبعدهما كان شاعر العزيز كما أطلق عليه البعض، أو شاعر القصص عــــاد مــــن مــــنــــفــــاه شاعراً لوطنه ولمجتمعه ومنعزلاً عما كان فيه سابقاً من التصاقه بالقصـــــر ، إذن لا عجب أن نجد أبيات الحكمة منثورة في ديوانه والتي يلمسها كل قارئ بكثرة .

فهل كان شوقي متعمداً أن يظهر لنا هذا الكم الهائل من الحكمة في شعره ؟ ، فلما بحثت في شعره وجدته فعلاً قد تعمد ذلك وقصده ، لأنه كان يرى في الحكمة أموراً غابت عن كثير من الشعراء غيره ، فاستمع له وهو يقول :

ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمةً على نزلاء الدهر بعدك أو
(١) (٢)

وبالها من نظرة عميقة صائبة ، في جعل تخليد ذكر الإنسان من بعد وفاته عن طريق قول الحكمة التي يتناقلها الناس عبر الأزمنة فيكون لصاحبها السيرورة أيضاً . ويؤكد هذا المعنى في مكان آخر فيقول :

إذا أنا لم تكفل لي الخلد حكمتي ولم أتمسه في بياني وفي علمي
فلا استرجعت بي الضاد بنيات ولا لقيت بي العصر في البذخ
(٣) (٤)

واستمع له أيضاً وهو يقول بين يدي الخديوي :

هذه حكمتي وهذا بياني لي بها نحو راحتك ارتقاء^(٣)

ويفخر في موطن آخر ويقول :

(١) الشوقيات، ص ٨٣٧ .

(٢) نفسه، ص ١٠٩٨ .

(٣) نفسه، ص ١١٩ .

لي دولة الشعر دون العصر مفاخري حكمي فيه وأمثالي^(١)

فالفخر بشعره ليس إلا بحكمه التي فيه ، وحتى في مقام الدفاع عن نفسه لا ينسى الحكمة فيقول :

فلا حكمتي دعوى ولا منطقي ولا مبدئي لؤم ولا قلبي وغد^(٢)

إذن الحكمة عنده لها مكانة خاصة في نفسه لا يمكن أن يتجاهلها أي قارئ لشعره.

إن شوقي قد جمع بين التوجهين: التوجه القديم ؛ والتوجه الحديث ، وكأنني به لا يحفل بالصراع الدائم بين الاتجاهين منذ العصور الأدبية الأولى إلى يومنا هذا ، فهو شاعر ينسج شعره على نسج القدماء ، وفي نفس الوقت يلبس شعره ثوب الجدة والحداثة ، فهو في معارضاته يحمل لواء الشعر المحافظ ، وفي موضوعاته والكتابة عن الجديد كالمسرحيات مثلاً والحديث عن المخترعات يدخل في دائرة المجددين ولو من ناحية معينة وقد تحدث الدكتور طه حسين عن هذا الأمر فقال : « وربما كان لحركة البارودي نحو القديم أثر في نفسيته ، فلم يعن عناية قوية بالجديد في الأدب الفرنسي ، فقد كان كله جديداً بالقياس إليه ، وأعجب أكثر ما أعجب بفيكتور هيجو ودي موسيه ، وظل متمسكاً بهذا الرأي طول حياته »^(٣) . وهذا حق أثبتته شوقي بقصيدة أفردها لفيكتور هيجو بمناسبة ذكرى مرور عام على وفاته فيقول :

ماجلّ فيهم عيدك المأثورُ إلا وأنت أجلّ يا فيكتور^(٤)

ولا ينسى شوقي أن يشير إشارة عابرة إلى روايته (البؤساء) المشهورة :

مات القريض بموت (هوجو) ملك البيان فأنتم جمهور^(٥)

وانظر إلى البؤساء نظرة راحم قد كان يسعد جمعهم ويجير^(٦)

(١) نفسه، ص ٨٢٣ .

(٢) نفسه، ص ١٠٤١ .

(٣) ذكرى الشاعرين، طه حسين ، ص ٣٩٣ (نقلاً عن : شوقي شاعر العصر الحديث ص

٩٠).

(٤) الشوقيات ، ص ٧٦٧ .

(٥) السابق، ص ٧٦٧ .

(٦) نفسه، ص ٧٦٨ .

ويفرد قصيدة أخرى في الروائي الشهير (تولستوي):

(تولستوي) تجري أية العلم دمعها عليك وبيكي بائس وفقير^(١)

إن كل الأبيات السابقة فيها دليل على التنوع في المصادر والثقافة عند شوقي ، ومن العجيب أن الدكتور طه حسين عندما انتقد قلة العمق الثقافي عند شوقي من الثقافة الغربية وتعليقه لذلك بتأثر شوقي بالبارودي رائد حركة المحافظة على الشعر القديم – وهو الخبير في الشعر والمنتزق له – كان أقل جدلاً لشوقي من غيره من النقاد الذين حولوا أقلامهم سياطاً لجلد أحمد شوقي والنيل منه والتقليل من مكانته ، فمنهم من عاب عليه التجديد كمحمد المويلحي الذي كان ينقد على شوقي اتجاهه الجديد ويذكر أن الشعر العربي ليس بحاجة للتجديد، وذكر أيضاً شكيب أرسلان ما قام به اليازجي من حملة ضد شوقي في نثرياته ، ولكنني أتجاوز ذلك لأقف مع نقد (العقاد) لشوقي الذي صب على شوقي أشنع النقد وأقواه في كتاب (الديوان) وكان من ضمن قال : (اعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها ، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبهه ، وإنما مزيته أن يقول ما هو ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به ، وإن كان وكذاك من التشبيه أن تذكر شيئاً أحمر ثم تذكر شيئاً أو أشياء مثله في الاحمرار ، فما إن زدت على أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء بدل شيء واحد)^(٢) فهو يرى هنا أن شوقي لا يملك المقدرة على التجديد في الصياغة وإنما هو مشبه لا غير ، ولا يملك التجديد في التصوير ، ومن أشد ما قال عن شوقي : (فإن كان ثم إمارة (كذابة) في الدنيا فهي إمارة هذا الذي لا يكتفي أن يعد شاعراً حتى يعد أمير الشعر ، وحتى يقال إنه لأسمى ما تسمو إليه النفس المصرية من الشعور بالحياة)^(٣).

ويبدو أن العقاد أراد أن يخلع عن شوقي إمارة الشعر التي منحت له وبويع عليها حسداً له، وكان الأولى في نظري أن يفخر العقاد كما افتخر غيره من الأدباء المصريين بخروج شاعر كأحمد شوقي من وطنه ، فإذا كان معظم الأدباء ومن أنحاء متفرقة من الوطن العربي

(١) نفسه، ص ٧٦٩.

(٢) الديوان ، للعقاد والمازني ، مكتبة السعادة ، الطبعة ٢، ١٩٢١، ص ١٦.

(٣) ساعات بين الكتب ، للعقاد ، ص ١٦٥، دار الكتاب العربي، الطبعة ٢

أقروا لشوقي نبوغه في الشعر وباعوه أميراً للشعر وكان في ذلك التجمع الذي كان في عام ١٩٢٧ المباعته بإمارة الشعر والتي أعلنها حافظ إبراهيم بقوله :

أمير القوافي قد أتيت مباعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت
(١)

مساهمة من شوقي في جمع الوجدان العربي ، أليس هذا أمراً يستحق الإشادة ، أهو خير أم النقد غير البناء والذي يراد من وراءه النيل من الأشخاص والتقليل من مكانتهم باسم الأدب وهو ليس من أدب النفوس في الاعتراف بالغير وفي إعطاء كل ذي حق حقه من المكانة ، وأن يكون النقد بناءً يخدم المصلحة العامة للأدب ، لا ليقطع أو اصر الألفة و الإخاء .

* * *

٤ - فلسفته

ما بين فينةٍ وأخرى يفاجئنا شوقي بذكر لفظة في قصائده تدل على اطلاعه على الثقافة اليونانية سواءً أكانت فلسفة أو تاريخاً فهاهو يقول
ف_____ي قصصه يدهته
(أبو الهول) :

و(إيزيس) خلف مقاصيره تخطى الملوك إليها الستر^(٢)

وإيزيس من معبودات قدماء المصريين ، وهي أخت أوزيروس وزوجته في الوقت نفسه .
ويقول أيضاً :

و(أبيس) في نيره العالمون وبعض العقائد نير عسر^(٣)

و أبيس اسم يظهر ضمن اعتقاد يوناني قديم وهو أن روح رجل اسمه أوزيريس (إله الخير في معتقداتهم) تقمصت جسد عجل اسمه (أبيس) .
وفي قصيدة أخرى يفرد لها لأرسطو وذلك عندما هنا شوقي الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا على ما قام به من عمل جليل وهو ترجمته لكتاب

(١) ديوان حافظ إبراهيم ، ٩٦/١ .

(٢) الشوقيات، ص ١٤٩ .

(٣) نفسه .

أرسطو في علم الأخلاق إلى العربية يقول:

علمت بالقلم الحكيم وهديت بالنجم الكريم
وأتييت من محرابه بأرسطاليس العظيم^(١)

وقد وجدت للدكتور شوقي ضيف رحمه الله تعليقا على هذه القصيدة في كتابه (شوقي شاعر العصر الحديث) إذ قال: إن شوقي نسب فيها إلى أرسطو بعض آراء أستاذه أفلاطون، فاستغل طه حسين الفرصة وحمل على شوقي وعابه عيباً شديداً بنقص ثقافته الفلسفية ثم يدافع شوقي ضيف عن شوقي في هذه الناحية ويرد على موقف الدكتور طه حسين فيقول: «وقد يعاب شوقي بنسبته إلى أرسطو آراء ليست له، ولكن لا يعاب جملة بضعف ثقافته الفلسفية، فليست الفلسفة ضرورية في تكوين الشاعر العظيم، ولم يكن هوميروس يعرف فلسفة، وحتى إن كنا نريد من الشاعر أن تكون له فلسفة فليس معنى ذلك أن نلزمه بقراءة الفلسفة، فالفلسفة شيء والشعر شيء آخر، ولم يكن شكسبير ولا فيكتور هيجو ولا دي موسيه ولا غيرهم ممن قرأ لهم شوقي فلاسفة»^(٢).

وكلامه رحمه الله واضح، إذ إنه ليس من شروط الشاعرية معرفة الفلسفة، ومع ذلك نجده أيضاً يقول في قصيدته (على سفح الأهرام):
هوميرو أحدث من قرون بعده شعراء، وإن لم تخل من^(٣)

وهوميرو هو الشاعر اليوناني المشهور صاحب ملحمتي الإلياذة والأوديسة، إذن هل بعد كل ما ذكرت من شواهد هناك من يشكك في ثقافة شوقي الفلسفية؟ فلا أتوقع ذلك.

لا تأكيداً مني على سعتها عند شوقي، بل تأكيداً على وجودها، وبغض النظر عن مقدارها وكميتها، ولهذا لن أطيل الكلام في هذا

(١) السابق، ص ٤٥٣.

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٠٩.

(٣) الشوقيات، ص ٣٧٣.

الأمر فالأمر واضح لكل من يطلع على ثقافة شوقي .

* * *

(موازنة بين الحكمة عند شوقي والمتنبي)

قد لا يكون أمراً جديداً القول بأن هناك رابطاً يربط بين المتنبي وشوقي ؛ لكني أريد أن أضع يدي على وجه الشبه بينهما فوجدته موجوداً في عدة أمور وهي :

١- العبقرية الشعرية لدى الرجلين واضحة ، فالمتنبي هو من قيل

عن

(ملاً الدنيا وشغل الناس) ، استطاع أن يثبت أقدامه وسط كوكبة من الشعراء لا يقلون شاعرية عنه ، ولكنه دائماً الإبداع أنى وجد فلا بد من الاعتراف به، ولولا وجود المتنبي في زمن المبدعين لما برز ولما سطع نجمه ، وساعد المتنبي على البروز نفسه السماء المتعالية بعروبتهما والتي وجد في الشعر مجالاً لإثبات عروبتهما ، وكلنا يعرف اعتزازه بنفسه، وقد وجد في شخصية سيف الدولة مبتغاه ، وكذلك وجد سيف الدولة في شعر المتنبي مبتغاه ، فأحب كل منهما صاحبه ، وكذلك كان الحال بين شوقي وصاحبه الخديوي فالمتنبي شاعر سيف الدولة المقرب وشوقي شاعر الخديوي المقرب مع وجود شعراء أكفاء في زمن كل منهما ولكن الإبداع الذي يملكانه سحبا به البساط من تحت أقدام الجميع .

٢- التشابه الموجود في شعر المتنبي وشوقي من حيث كثرة الحكمة المنتشرة في قصائدهما ، ويبدو أنهما اتفقا على أهمية الحكمة ، فحكم المتنبي كثيرة ومعروفة ، وكذلك هي حكم شوقي ، لأنه يرى أن الحكمة أس من أساسات الشعر فهو الذي يقول :

والشعر إن لم يكن ذكرى وحكمة ، فهو تقطيع وأوزان^(١)

ياله من تعبير جميل ، فالشعر يصبح مجرد أنظمة عروضية عند خلوه من الذكري والعاطفة والحكمة التي هي مناط حديثنا .

إن شوقي وضع المتنبي في مكانة من الإجلال هي دون مكانة الأنبياء ، وكان هجاء المتنبي السبب في ألا يكون عنده في مرتبة إجلال الأنبياء، والهجاء هو الأمر الذي خالف فيه شوقي المتنبي ، بعكس اتفاقه معه في المدح ، فالمتنبي أطلق لسانه العنان في الهجاء، ولم يكن هجاؤه فقط في مجال رد الأذى بمثله بل كان من باب الذم كهجائه

لكافور مثلاً، أما شوقي فقد منع نفسه عن هذا الأمر، ولربما نيل منه فقابل ذلك بالصمت مما زاده ثقة بنفسه، فهو يغض الطرف عن أساء إليه، ومهما هوجم من غيره لا يرد ولا يهاجم، فقد كان عف اللسان حميد الأخلاق، وهو يقول في رد على خبر بلغه عن قول قيل فيه، فقال:

فلا حكمتي دعوى ولا منطقي ولا مبدئي لؤم ولا قلمي وغد^(١)

والإنسان المبدع محسود دائماً، وكلما تجاهل المبدع أقوال حاسديه وتعامل معهم بمبدأ (يزيد حماقةً فأزيد حلماً) علا شأنه وهذا ما كان يقوم به شوقي، ولا يخلو الأمر من الأخلاق الإسلامية التي كان يتمتع بها شوقي والتي ملأ بها ديوانه وتظهر بين فينة وأخرى وأكثر قصيدة تبرز هذا الأمر (الهمزية النبوية)، وتظهر أيضاً عندما كان يتحدث عن الخلافة الإسلامية وعن الترك الذين كانوا يمثلون الإسلام، حتى في قصيدته التي يستخدمها بعض الناس في إطلاق حكمهم على شوقي واتهامه بالمجون في شعره وهي قصيدته (رمضان ولي) التي بدأها بقوله:

رمضان ولي هاتها يا ساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق

فعندما يكملون قراءة الأبيات يجدونه يقول:

وطني أسفت عليك في عيد وبكيت من وجد ومن إشفاق

لا عيد لي حتى أراك بأمة^١ شماء راوية من الأخلاق^(٢)

وبدايته التي تحدث فيها عن الخمر ما كانت إلا تقليداً للبدائية المتعارف عليها عند القدماء كأبي نواس شاعر الخمريات، والجميل أن دار شوقي أطلق عليها (كرمة ابن هانئ) يقصد أبا نواس وربما تأثر بخمرياته فكانت هذه الأبيات .

وأعود وأقول إذا كان المتنبي ملأ الدنيا وشغل الناس فشوقي من الذين شغلوا الناس بشعرهم .

(١) نفسه، ص ١٠٤١.

(٢) السابق، ص ٥٨٨-٥٨٩.

العلاقة بين الشعر والفكر

إذا كان الشعر يخبرنا عن مشاعر الشاعر وما يختلج في نفسه فإن الشعر أيضاً يخبرنا عن عقلية الشاعر وعن فكره ولذا أجد أن هناك علاقة بين الشعر والفكر حتى إن القصيدة لا تتأتى إلا من فكرة خطرت في فكر الشاعر .

إن الناظر إلى أغراض الشعر يجد أنها تعتمد على الفكر وما ينبع منها من تفكير عميق في نفس الشاعر فمثلاً : المدح يبدأ بتفكير الشاعر في الخصال الموجودة في الممدوح ثم يعرضها على طريقة أفكار متسلسلة في قصيدته حتى يصل إلى إرضاء ممدوحه .

والرثاء : حديث عن آثار المُرثى ، ولا يخلو الكلام عن الحديث عن فكرة الحياة والموت ، وفكرة الصراع النفسى لدى الإنسان في حبه للبقاء ، بينما تظل فكرة الموت كأنها ظلة تحوم فوق رأس الشاعر ولذلك نجد كثيراً من الشعراء عندهم فلسفة الموت في شعرهم ، وأجدها عند شوقي في قصيدته التي رثى بها والده إذ يقول فيها :

ورثاء الأب دين أي دين	سألوني : لم لا أرث أبي
أين مني العقل الذي يُسعف	أيها اللوام ما أظلمكم
لُقي الموت كلانا مرتين	أنا مَنْ مِتُّ وَمَنْ مات أنا
ثم صرنا مهجة في بدنين	نحن كنا مهجة في بدن
ثم نلقى جثةً في كفنين	ثم عدنا مهجة في بدن
وبه نبعث أولى البعثين ^(١)	ثم نحيا في علي بعدنا

(١) السابق ، ص ٨٥٧ .

فشوقي هنا يرى أن مسألة الموت لا يمكن أن توقف مسألة الترابط العاطفي بينه وبين أبيه ، بل هي مسألة مستمرة تنتقل من الأموات إلى الأحياء بعدهم ، ويتحدث عن الترابط العاطفي بينه وبين والده ، وهذا الترابط أخذه شوقي من أبيه ونقله لابنه (علي) وهو مؤمن بالموت وبأن الإنسان ينتقل من الدنيا إلى حياة أخرى وأن الموت لا يسلم منه أحد حتى أشرف الخلق □ ، فيقول شوقي عن ذلك :

ياأبي ما أنت في ذا أولٌ كل نفسٍ للمنايا فرض عين
هلكت قبلك ناسٌ وقرى ونعى الناعون خير الثقلين^(١)

وأما في غرض الوصف فالشاعر يعتمر فكره حتى يبدع لنا صورةً جميلةً حتى يوصل إلينا ما أراد إيصاله لنا .

إذن الشعر لا ينفك عن التصاقه بالفكر ، و المبدعون وأصحاب الفكر النير - من الشعراء- هم من يستطيعون أن يأخذوا بألباب الناس ، والسيطرة على أسماعهم لجمال شعرهم الذي حملت مضامينه فكراً كان ملهماً لهم ، وما الحالة التي تعترى الشعراء بسبب اعتصارهم لأفكارهم إلا دليل على ذلك .

إن الشعر أداة من أدوات التعبير عن الفكر فمنذ عصور الأدب العربي الأولى وهو المعبر عن أحوال العرب فرحاً كانت أم حزناً ، وهو مثير من مثيرات الحروب بينهم وفي نفس الوقت هو من مطفئها ، والحرب والسلم يعبران عن فكرٍ إنساني قديم ، فالفكر العدواني الموجود في النفس البشرية يقابله الفكر السلمي .

إذن من لا يملك فكراً لا يمكن له أن يصوغ بيتاً واحداً ، فإذا كانت الموهبة الشعرية هي الدافعة للأحاسيس والمشاعر حتى تخرج شعراً ، فإن الفكر هو الروح التي تعيش داخل تلك الأبيات .

ومما يدل على ارتباط الشعر بالفكر : أن قريشاً لم تجد وصفاً تصف به القرآن الكريم إلا كلمة (شعر) ووصفوا النبي □ بأنه (شاعر) تكذيباً منها لله ولرسوله ، وهذا ما نفاه الله جل وعلا في كتابه العزيز (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)^(٢) .

(١) المصدر السابق.

(٢) القرآن الكريم ،سورة : يس ، آية : ٦٩ .

إن الفكر لدى الإنسان يسبق كل عمل يقوم به والقصيدة عمل من ضمن الأعمال الإنسانية ، فالفكر عبارة عن البوابة التي تفتح للشاعر لينطلق محلقةً في سماء الشعر ، فإن وجدنا شاعراً يتغزل ويهيم بمحبوبته فلا يمكن أن نجعل أحاسيسه فقط هي المخرجة لقصائده بل وافقها فكر محبٍ متيم وما وله بعض شعراء الغزل بمن يحبون حتى يفقدون عقولهم إلا دليل على وجود الأعمال الفكرية المركز والمؤثر على العقل من قوته .

ولأثبت علاقة الشعر بالفكر أدلل على ذلك بأحد الشعراء وليكن من الحكماء وهو زهير بن أبي سلمى ، فالحكمة عنده منبثقة من فكرٍ عميق وتجارب عديدة وحياة مديدة ، ولعمق الفكرة عنده كان يعتني بقصيدته حولاً كاملاً ، فلا يظهرها للناس إلا بعد اكتمال الفكرة التي خامرت عقله ومزجها بشعوره وأخضعها لتجاربه . ومن الجميل أن تكون الحكمة من أهم ثمرات الفكر الإنساني ، فحكمة الشاعر دلالة على فكره العميق الذي يمتاز به وعلى بعد نظره .

وقد يختلف الشعراء في طرق التعبير عن أفكارهم ، بل إنهم يختلفون في التعبير عن الفكرة ذاتها ، فقد تسهل على أحدهم بينما تكون ومستعصية على غيره ، فهذا المتنبي يفاخر بنفسه على الشعراء فيقول :

أنا ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها
(١)

ونعرف ما للمتنبي من مكانة قد ذكرتها سابقاً في هذه الدراسة .

وكان المتنبي الأنموذج التي اخترته للحكمة في العصر العباسي ، ومن يقرأ سيرة المتنبي يجد أنه تنقل بين الأمراء باحثاً عما يرضي شعره ، وهو الأمر الذي وجدته في صديق سيف الدولة ، فأخلص له الحب كما أخلص له المدح ، ولكن علاقتهما لم تخل من الشوائب ومن كدر الحساد ، الذين أسهموا في بلورة فكر المتنبي عن الناس وعن طبائعهم .

فخرجت لنا حكمته المنطلقة من نظره الناقد للحياة وللناس ، ففكر المتنبي مع نبوغه الشعري أنتجا إبداعه الشعري . وقال أبو يوسف الكندي عن أبي تمام لما وجدته سريع البديهة في إضافته لأبياتٍ في مدح أحمد

(١) ديوانه ، شرح العكبري ، ٣ / ٣٦٧ ، دار المعرفة .

بن المعتصم : « هذا الفتى قليل العمر لأنه ينحت من قلبه وسيموت قريباً .
فكان كذلك »^(١) .

ومن خلال بحثي في الشبكة الإلكترونية وجدت كلاماً لأدونيس عن العلاقة بين الشعر والفكر فتحت عنوان (أدونيس يختتم زيارته للقاهرة وسط احتفاء وشتائم) في موقع باسم (حزب الوسط الجديد) :
« بعد ذلك تحدث أدونيس مستعيداً المحاور التي شغلت محاضراته بمكتبة الإسكندرية مؤكداً أن رأسه ليس مشغولاً سوى بالقضايا العربية المعقدة والملتبسة والتي لا يملك حيالها أحكاماً نهائية ، وأوجز أدونيس محاور حديثه في أربع نقاط . ومن ضمن ما ورد : أما فيما يتعلق بعلاقة الشعر بالفكر فقال أدونيس : تتمحور العلاقة بين الشعر والفكر في الثقافة العربية كحالة من حالات الإقصاء وذلك خلافاً لجميع التقاليد المتعارف عليها في الثقافة العالمية وخلافاً لما جاء به الشعر العربي نفسه ، واستعاد أدونيس عدداً من الصور التي عمقت هذا الإقصاء بين الشعر والفكر ومنها على سبيل المثال الفقه الإسلامي الذي تخلف كثيراً عن الطفرات المعرفية الكونية فابن تيمية مثلاً يعتقد بأن الدين ألغى مجهولات ، وهذا يختلف كلية مع الشعر ، فالشعر يكتشف الحقيقة من خلال التجربة ، وثقافة الشاعر في عمومها متناقضة وتنهض من أن الحقيقة ليست مكتشفة ، لكن الرؤية الدينية محدودة ومحددة والشعر متحرك أبداً والقصيدة سؤال مطروح على العالم ، ويردف أدونيس مؤكداً : أن الشعر لا يمكنه الإفصاح عن مجهول العالم إذا كشف عن مجهولات اللغة » .

ووجدت أدونيس هنا يرسخ لمفهوم الإقصاء الذي يمارسه الدين من وجهة نظره ولذا يقول : « تجلّى هذا التعدد، بدءاً من ظهور الإسلام في اتجاهين : الأول يحافظ على القيم السائدة : القديمة التي أقرها الإسلام ، والجديدة التي نشأت معه ، والثاني يتمرد عليها ويخرج . وقد رأينا كيف شجع النبي والخلفاء الأربعة شعراء الاتجاه الأول ، وكيف أنهم عاقبوا بالسجن أو الجلد شعراء الاتجاه الثاني »^(٢) .

والشعر متنسق مع مفهوم الدين ولذلك يقول (شجع) النبي عليه

(١) العمدة ، لابن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور/عبدالحميد هنداوي، ١ / ١٤٧، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٤م.

(٢) الثابت والمتحول ، أدونيس ، الجزء الأول ، صفحة ٢٥٩ ، دار الساقي

الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم شعراء الاتجاه الأول ، فهل التشجيع يتحول في رأيه إلى إقصاء؟! ، أما أصحاب الاتجاه الثاني الذين تم سجنهم أو جلدتهم فهم يستحقون ذلك طالما استباحوا أعراض الناس ومحارمهم وخير مثال : موقف الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه من الحطيئة لما أكثر من هجاء الناس سجنه ثم أخرجه لما استعطفه بل وسعى إلى إصلاحه من خلال إعطائه مالاً مقابل سكوته عن أعراض المسلمين ، فإن كان يرى أن في معاقبة المتطاولين على الناس بشعرهم إقصاء لهم ولفكرهم فنعم الإقصاء وبئس الفكر والشعر .

وأما كلامه عن ابن تيمية رحمه الله وأن الفقه الإسلامي تخلف عن الطفرات المعرفية والكونية فيقول : « قد يكون ابن تيمية أقوى من نظر لنفي المحدث عبر رده على الابتداع ، وهو يوصف بأنه : « سيف السنة المسلول على المبتدعين »^(١) . ويقول في الصفحة التالية : « ومن المبتدعين في رأيه كذلك : الخوارج والوعيدية والمرجئة والإمامية » . ويقول :

« والأساس الذي ينطلق منه ابن تيمية للرد على المبتدعين هو وضوح الرسالة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام .

فهو « قد بلغ البلاغ المبين »^(٢) . ويقول : « فالكتاب والسنة هما الحكم الأول والأخير ، وكل من يتحاكم إلى غيرهم ضالٌّ »^(٣) . مع كل ما سبق :

لم أجد في نقله عن ابن تيمية رحمه الله ما يدعوه إلى التطاول على الفقه الإسلامي والأمور العقديّة ووصفها متخلفة عن التطور المعرفي والكوني وأن يجعل ابن تيمية رحمه الله مثالاً لذلك ، بل على النقيض تماماً لم يرفض ابن تيمية الفقه الديني ولا الأفكار المعرفية أو حتى الكونية لأنها إن بنيت على الحقيقة أثبتت ما جاء به النبي □ ونبذت ما سوى ذلك .

(١) السابق ، ص ٦٧

(٢) نفسه ، ص ٦٩

(٣) نفسه ، ص ٧١

ومن خلال كل ما سبق لا زلت أرى أن ثمة علاقة بين الشعر والفكر فلا يوجد شعر إلا مولوداً من فكرةٍ ، حتى الأفكار السياسية والمذهبية نجد لها شعراء آمنوا بها فقاموا يروجون لها في شعرهم ويدافعون عنها به وهو أمر معروف من بداية فجر الإسلام .

وإني أرى ضرورة أن يتعلق الشعر والفكر لأن في تعلقهما توجد الثقافة الإنسانية ، يقول مالك بن نبي : « فليس من قبيل الصدفة أن تغنى الشعراء وخذ الرسامون شروق الشمس وغروبها ، فرسموا خفة حركة وجم

صورة ، كما نشدوا ذكاء رائحة ورقة لون . فكل هذا مما ذاب في كياناتنا وانسكب في لا شعورنا ، تجلّى في عقلنا صورة أفكار عملية ، ثم تحوّل إلى صيغ فنية ، إلى تنوع في الأزياء وفي الصناعة ، أو سما صُعداً لدى الموسيقار فألهمه فناً من الموسيقى الأُسرة، أو لدى الرسام فمنحه صوراً رائعةً ، أو لدى الشاعر فأوحى إليه نفحةً صوفيةً »^(١) .

وربما خالف رأي القدماء عند من يرى أن القدماء فصلوا بين الشعر والفكر من خلال دعوتهم إلى حفظ شعر السابقين وتقليدهم وأن التقليد يجعل الشاعر ناقلاً فقط وقد وجدت دراسةً نقديةً فصلت القول في هذا الأمر وهي بعنوان (مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر) للدكتور / فاتح علاق ، فتحت عنوان الشعر رؤيا : « يذهب رواد الشعر العربي الحر إلى أن الشعر رؤيا بالدرجة الأولى وما خصائصه الفنية إلا امتداد لها ، فاللغة والصورة الإيقاع نتيجة لرؤية خاصة للأشياء »^(٢) . فلو قارنا بين كلام الدكتور فاتح وبين كلام الجاحظ المشهور : « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي وأن العبرة بالصياغة الفنية » والصياغة تأتي تبعاً للرؤيا ، وهو ما لم يذكره الجاحظ في مقولته مما جعل خليل حاوي ينتقد كلام الجاحظ وهو ما ذكر في نفس الدراسة السابقة فيقول : « إن النتيجة الحتمية لما قرره الجاحظ هو تحويل الشعر إلى ضرب من البراعة الزخرفية في صياغة مادة مبذولة للجميع ، وهنا يمتنع على الشعر ان يكون مجالاً لاكتشاف الحقيقة والتعبير عنها تعبيراً ملازماً لطبيعتها الخاصة » يقول الدكتور

(١) مشكلات الحضارة - مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، ص ٥٦

(٢) مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، فاتح علاق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٥ ، (الشبكة الإلكترونية) .

فاتح : فالشعر عنده ليس مجرد صياغة للجهاز من المعاني وإنما هو رؤيا جديدة لحقائق الحياة . الشعر لا يصف ما هو موجود وإلا كان مجرد نظم للمعلوم وتكراراً لمعاني الفلسفة والعلم والدين . الشعر ليس تابعاً للفلسفة أو العلم أو الدين ، بل هو الرائد الأول للحقيقة التي يحاول الفيلسوف والعالم أن يفسرها كلُّ بطريقته الخاصة كما يرى حاوي . على أن في نقد حاوي لمقولة الجاحظ تحاملاً كبيراً لأن الجاحظ يقصد بالمعاني المطروحة في الطريق المعاني العامة ونقلها إلى الشعر كما هي لا يصنع شعراً وإنما يكون الشعر بإعادة خلقها وصياغتها وخلق معانٍ جديدة انطلاقاً منها . والصياغة بهذا لا تنفي خلق المعاني ولا تعني انتصاراً للفظ على حساب المعنى . وإذا كان الشعر رؤيا خاصة ، وإذا كان عالم الشعر غير عالم الفلسفة والعلم والدين فإن هذا لا يمنع الشعر من الاستفادة من الأفكار الفلسفية أو العلمية أو الدينية بشرط صهر ذلك في الرؤيا ، ذلك أن الانطلاق من الفكر يفضي إلى نظم بارد أما تحويل الأفكار من خلال نظرة خاصة وانفعال خاص في إطار رؤيا متميزة فهو ما يسمو بالفكري إلى الفني ويجدد الفكر ذاته . ويرى خليل حاوي أن انجح طريقة في مزج الفكري بالفني هو انطلاق الشاعر من منازع الفكر المعاصرة له فيقول : « أعتمد أن أفضل منازع الفكر التي يفيد منها الشاعر هي المنازع التي تشيع في عصره وتتجسد وتصبح واقعاً حياتياً حياً ينفي عن الفكر صفة التجريد ويجعله من المسلمات البديهية ، هكذا كان الفكر الفلسفي الذي عبر عنه دانتي في ملحتمه ، ذلك أنه فكر استحال إلى ممارسة إيمانية يومية . لقد اتحد الفكر بالحياة اتحاداً عضوياً فجاء التعبير الشعري عنه تعبيراً عضوياً بريئاً من الرصف الآلي » . إلى أن يقول الدكتور : ومثلما خلط حاوي بين الشعر والفلسفة كذلك فعل البياتي إذ يرى أن « الشعر هو الوجه الثاني للفلسفة ، وكل شعر يحاول أن يتنكر لهذا الوجه الثاني يسقط في التفاهة واللامعنى وفي العدمية اللغوية ، أي اللغة التي لا تقول شيئاً على الإطلاق » . وهذا الربط بين الشعر والفلسفة يدل على أن رواد الشعر العربي الحر لم يفصلوا بين الشعر والفكر ، القلب والعقل لأن الشعر عندهم كشف للحقائق وبحث عن المجهول . فهو تجربة وجودية في الحياة وليس صناعة لغوية . على أنهم يرفضون سيطرة الفكر على الشعر لأن ذلك يحوله إلى عمل فكري . وهذا انقلاب على ما ذهب إليه بعض الشعراء القدامى كالبحتري وبعض النقاد القدامى كالأمدي من فصل للشعر عن الفكر وكأن الشعر عاطفة خالصة وتعبير لغوي عن

المألوف والمعروف .

يبدأ عبد الصبور من الكلمة المشهورة في النقد العربي القديم (المتنبّي وأبو تمام حكيمان إنما الشاعر البحتري) ليلاحظ هذا الفصل بين الشعر والفكر ، والعقل والعاطفة ، ويشير إلى النقاد الذين ألحقوا أبا العلاء بمكانة بين الفلاسفة والشعراء وأبعدوا تراث المتصوفين الأدبي وأحقوه بالتراث الفلسفي كما يتبين من كتابات الأمدي وابن قتيبة وابن رشيق وغيرهم. ويؤكد

عبد الصبور هذا الفصل عند القدامى من خلال الإشارة إلى الأساتذة في نصحهم للشعراء من تلاميذهم بحفظ أشعار الأقدمين والنسج على منوالها دون حثهم على الإلمام بثقافة العصر واتجاهاته الفكرية كما هي الحال عند والبة بن الحباب مع أبي نواس وأبي تمام مع البحتري وغيرهما . وعبد الصبور يرفض هذا الفصل بين الشعر والفكر عند القدماء لأن الشعر ليس مهارة لغوية أو مجرد تخييل بل هو رؤية جديدة للحياة والكون وكشف لحقائق الوجود . على أنه يرفض بالمقابل أن يتحول الشعر إلى نظم للأفكار أو سرد للنظريات الفلسفية فالشعر ليس فكراً خالصاً بل هو موقف من الأفكار والآراء . انتهى⁽¹⁾

وقد ربط البعض بين العلم والشعر ، والعلم يعتبر وجهاً من أوجه الفكر الإنساني ، لذا يقول أ.أ. ريتشاردز : « إن إساءة فهم الشعر والتقليل من أهميته مردهما قبل كل شيء المبالغة في أهمية العنصر الفكري فيه . ولكننا نستطيع أن نتبين بصورة أوضح كيف أن الفكر ليس هو العامل الأول في الشعر حينما ننظر إلى تجربة الشعر نفسه لا إلى تجربة القارئ . لم يستخدم الشاعر هذه الألفاظ دون غيرها ؟ إنه لا يستخدمها لأنها تمثل سلسلة من أفكار يهتم بتوصيلها هي في ذاتها ، فليس ما تقوله لنا القصيدة هو الذي يهمنا في الواقع ، وإنما الذي يهمنا هو ماهية القصيدة ذاتها . فالشاعر لا يكتب القصيدة باعتباره عالماً ، وإنما هو يستخدم هذه الألفاظ لأن النزعات التي يثيرها الوضع الذي يوجد فيه الشاعر تتألف على إيجاد هذه الصورة دون غيرها في وعيه كوسيلة لتنظيم التجربة التي يعبر عنها بأسرها وللسيطرة عليها . فالتجربة ذاتها - أي أمواج الواقع التي تندفع خلال العقل - هي التي تأتي بهذه الألفاظ

(1) السابق .

وتعتمدها» (١).

إن أ.أ. ريتشارد يشير في كلامه السابق إلى التجربة الشعورية لدى الشاعر والتي يعتبرها المؤثر على فهم القارئ للشعر ، وأن أثرها كذلك يظهر على طريقة اختيار الشاعر للألفاظ المعبرة عن القصيدة ذاتها ككيان واحد . وقد أثار أوستن وارين و رينيه ويليك تساؤلاً وهو : كيفية دخول الأفكار في الأدب . من الواضح أنها ليست مسألة وجود أفكار في عمل أدبي ما دامت هذه الأفكار تظل مجرد مادة خام ، مجرد معلومات . ولا تثور المسألة إلا إذا تغلغلت هذه الأفكار عملياً في نسيج عمل أدبي ما

دامت تغلغلها (مكونة) وبالاختصار ، عندما تكف عن أن تكون أفكاراً بالمعنى المألوف للمفاهيم وتصح رموزاً أو حتى نوعاً من الخرافة . لدينا سعة من المجال للشعر التعليمي الذي تقرر فيه الأفكار مجرد تقرير ، وتقدم موزونة أو مدبجة بشيء من الاستعارة والمجاز . ولدينا رواية الأفكار كالتالي يكتبها جورج صاند أو جورج إليوت ، حيث نحصل على مناقشات (لمشكلات) اجتماعية أو خلقية أو فلسفية . وإذا انتقلنا إلى صعيد أرفع تكاملاً كان لدينا رواية كرواية (موبى ديك) لهرمان ملفيل حيث ينقل الفعل كله معنى ما خرافياً ، أو قصيدة كقصيدة (عهد الجمال) حيث ينتظم القصيدة - في التية على الأقل - مجازاً فلسفياً واحد . ولدينا أيضاً دوستويفسكي حيث تنفذ في رواياته دراما الأفكار بمصطلحات ملموسة تمثلها الشخصيات والحوادث . والأخوة الأربعة في (الأخوة كارامازوف) رموز تمثل مساجلة ايديولوجية ، هي في الوقت ذاته دراما شخصية . والخاتمة الايديولوجية وثيقة الاتصال بالكارثة الشخصية للأبطال الرئيسيين (٢) .

ويتساءل الكاتبان عن : (ما القصيدة وأين توجد ؟) (٣) .

ومن ضمن الأجوبة التي طرحت لهذا التساؤل : إن القصيدة تجربة للقارئ ، ويحتج أصحاب هذه الإجابة بقولهم : إن القصيدة ليست شيئاً خارج العمليات العقلية التي تجري في ذهن قارئ معين ، وبذلك فهي

(١) العلم والشعر . أ.أ. ريتشاردز . ترجمة محمد مصطفى بدوي . صفحة ٤٣، ٤٢ مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١ .

(٢) نظرية الأدب / أوستن وارين و رينيه ويليك . ترجمة محيي الدين صبحي ، ص ١٥٨ ، مطبعة خالد الطرابيشي .

(٣) نفسه ، ص ١٨٣ .

(أبيات الحكمة)

(عددها - أقسامها)

١- في الشوقيات

لما تتبععت أبيات الحكمة في الشوقيات وجدتها بلغت في عددها (١٠٢٩) ألفاً وتسعةً وعشرين بيتاً، وهي تقل عن عددها عند الطرابلسي - وهذا لأنني وجدته يذكر أبياتاً يرى أنها من الحكمة ورأيت عكس ذلك. ولما أمعنت النظر فيها وجدت أنها كانت مقسمة إلى قسمين :-

أبيات حكمية نظرية فلسفية وهي : الناتجة عن التأمل والإدراك.(٦١٩) بيتاً

و أبيات حكمية عملية:أي المستخرجة من التجارب وعبر الأيام.(٤١٠) بيتاً.

٢- في شعر شوقي المسرحي

كنت أظن أن حكمة شوقي موجودة فقط في ديوانه ، ولكني لأثبت هذا الظن أو أنفيه لأبد لي من قراءة الشعر المسرحي لشوقي فثبت لي عكس ما كنت أظن! فقد أحصيت أبياتاً حكمية بلغ عددها(٩٠) تسعون بيتاً، وقد وضعها على ألسنة الشخصيات وكانت حكماً رائعةً ، ومنها قوله :

وبعض السم ترياق لبعض وقد يُشفى العضالُ من
 " " (١)

وقد كان منها (٣٩) بيتاً من أبيات الحكمة العملية ، و(٥١) بيتاً من الحكمة النظرية .

الفصل الأول

مضامين الحكمة

الحكمة العملية

ويدخل فيها :

المضامين الاجتماعية والسياسية المستقاة من التجارب والأحداث .

الحكمة النظرية

ويدخل فيها :

المضامين النفسية والتاريخية وما يظهر فيها من فكر وتأمل .

(الحكمة العملية)

إن أبيات الحكمة لدى شوقي قد تضمنت في داخلها معاني فكرية متعددة، فتارةً أجد في حكمته الفكر السياسي وهذا ما يظهر جلياً في قصائد أحمد شوقي في مراحل حياته الأولى وأقصد بها هنا حياته التي عاشها في قصر الخديوي، ويبدو أن قربه من الحاكم أكسبه نظرةً سياسية حتى وإن كانت هذه السياسة لا تخرج عن نظرة الخديوي إلا أننا لا يمكن تجاهل كونها فكراً سياسياً، وإن سخره أحمد شوقي لإرضاء ممدوحه وولعي نعمته

الخديوي، وذلك عندما يمدح الترك، فكثيراً ما نجد أحمد شوقي عنون لقصيدته بعنوان يتماشى مع الأحداث الموجودة في زمنه فمثلاً:

ذكرى استقلال سوريا^(١).

إلى جانب تناوله لشخصيات سياسية في عصره بل وجعل لقصائده نصيباً من أسمائهم وذلك مثل:

عمر المختار^(٢).

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن أحمد شوقي اكتسب من قربه من القصر الحياة السياسية التي خولته أن يدخل المعترك السياسي وإن لم يكن بتلك الصورة التي يمكننا من خلالها أن نطلق عليه رجلاً سياسياً ويبدو أن غلبة الصبغ الأدبية عليه ومعرفة الناس له من خلالها كان لها أثرٌ في ذلك، وفيما يلي عرض لأبيات من الحكمة لديه والتي رأيت أنها تتضمن فكراً سياسياً:-

قال في قصيدته (كبار الحوادث):

يحسب الظالمون أن سيسودون	وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائرٌ مثلما جاروا	والدهر مثلهم أهواء
يولد السيد المتوجّ غضاً	طهرته في مهده النعماء
لم يغيره يوم ميلاده بؤسٌ	ولا ناله وليداً شقاء

(١) الشوقيات، ص ٢٨١.

(٢) نفسه، ص ٦٩٨.

فإذا ما المملقون تولوّه تولى طباعه الخيلاء
وسرى في فؤاده زخرف القول يراه مستعذباً وهو داء
فإذا أبيض الهديل غرابٌ وإذا أبلج الصباح مساءً
هكذا الدهر حالةٌ ثم ضدٌ ما لحالٍ مع الزمان بقاءً^(١)

من خلال الأبيات السابقة يبين لنا أحمد شوقي أمراً مهماً وهو سياسة الحاكمين لمن يحكمون ويقر مسألة العدل من خلال حديثه عن الظلم وما يحدث للحكام الظالمين وما يحدث لدولهم ، فكل حاكم ظالم يظن أن ظلمه للناس هو السبيل للسيطرة عليهم مع أنه نسي أن الدهر قلب والأيام تدور ، وأن ظلم الناس يؤدي إلى سقوط حكم الظالم مهما طال حكمه وطال عمره ، ثم ينتقل بالحديث إلى مسألة أخرى سياسية مهمة وهي البطانة وأثرها على الحاكم فها هو السيد - كما يقول شوقي - يولد غضاً طاهراً منعماً ، ويخلع عليه هذه الصفات الجميلة حتى نلحظ التغيير الذي يحدث له بعد ذلك من خلال البطانة التي يصفها شوقي بأنهم متملقون ، والتملق صفةٌ يحملها من يسعى إلى إحراز شيء لنفسه من خلال التقرب للكاذب لأصحاب السلطة مما ينتج عن ذلك تغيير الحقائق وتزييفها لهذا السيد وهذا ما يقوله شوقي من أن هذا السيد يرى الحقائق مغلوطةً مما يجعله يرى الطائر الأبيض غراباً أسوداً ، وكذا يرى الصباح والنور ظلمةً وسواداً ولذا مصير هذا وأمثاله الفناء بعد السيادة والضعف بعد القوة والتاريخ مليء بأمثال هؤلاء .

ومن المضامين الفكرية التي وجدتها في أبياته الحكمية : الفكر التعليمي ، ووجدته من خلال حديثه إلى أرباب العلم وأعلام الأدب وهو كسابقه من حيث جعل شوقي أسماءً لقصائده تدل على العلم أو على رجاله فمثلاً :

العلم والتعليم - أرسطاليس - شكسبير - تحلية كتاب - ذكرى هيجو - تولستوي - المنفلوطي - شهداء العلم والغربة - الجامعة المصرية - دار العلوم - رسالة الناشئة .

وإذا كان شوقي أديباً ؛ فالأدب من أعمدة العلم التي تبنى عليها الحضارات الإنسانية ، ولا غنى للمجتمع عن العلم وأهله فقال في

قصته
(العلم والتعليم) والتي اشتهرت أبياتها بين الناس حتى العامة منهم ،
والتي يقول فيها :

قم للمعلم وفه التبجيلا	كاد المعلم أن يكون رسولا
إن الشجاعة في القلوب كثيرة	ووجدت شجعان العقول قليلا
ولربما قتل الغرام رجالها	فقتل الغرام ، كم استباح قتيلا !؟
وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى	روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة	جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم	فأقم عليهم مآتماً وعويلا
وإذا النساء نشأن في أمية	رضع الرجال جهالةً وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من	همّ الحياة وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكمة منهما	وبحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له	أماً تخلت أو أباً مشغولاً ^(١)

* * *

إن هذه الأبيات التي يتحدث فيها شوقي عن المعلم ومكانته من أشهر ما يحفظه أغلب الناس في هذا الأمر بل حتى بعض العامة منهم ، وشوقي هنا يحفظ للمعلم مكانته ورسالته السامية رسالة الأنبياء التي قد يتجاهلها البعض وهي تعليم الناس ، وقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الله عز وجل قد قرن شهادة أهل العلم بوحدانيته بشهادته وشهادة ملائكته فقال عز وجل : (ت ت ت ط ت ط ف ف ف ف ف ف)^(٢) .

والنبي □ يقول « إن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر »^(٣) . ولكن يوجد بين الناس من لم يعط المعلم حقه ، فنأدى أحمد شوقي

(١) الشوقيات ، ص ٤١٩ .

(٢) سورة آل عمران ي الآية ١٨ .

(٣) سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٧٢٢ .

بوجوب القيام بحق المعلم والاعتراف بفضلته لأن التعليم مسألة جماعية ومن أهم ركائزها المعلم لذا لم ينس أحمد شوقي أن يقف مع المعلم وقفة بيانٍ وتوضيح لما يقوم به من عمل هو في الأصل مؤتمن عليه فإن هو خان أمانته التي وضعها الآباء والأمهات بين يديه فإن العقاب ستكون سيئة بدون جدال ، ولا ينسى أحمد شوقي ما تقوم به المرأة في بيتها ومع أبنائها من دور تعليمي لا يقل أهمية ومكانة من دور المعلم في مدرسته ومع تلامذته ، فالمرأة في بيتها هي المعلم الأول الذي يتلقى من الناشئة مفاتيح الحياة ، وهنا شوقي يذكر النتيجة السيئة التي تحدث للنساء عندما تتولى تربيتهم امرأة جاهلة ، كما فعل مع المعلم عندما أبان نتائج ما يحدث عندما يزيغ المعلم عن المنهج السليم ، فالنتاج في كلا الأمرين واحداً ، فنتاج المعلم الخائن لأمانته : جيلٌ إما ضائعٌ لا خير فيه لنفسه أو لأهله أو لأمته ؛ أو جيلٌ متعلمٌ قد حشيت عقولهم بالمفاهيم المغلوطة والتي تهدم ولا تبني وأما نتاج المرأة الجاهلة : فنساءٌ رضعوا الجهل منها وسرى في عروقهم واستقر على شكل مفاهيم خاطئة أو أساليب بالية إن لم يتداركوا تغييرها فسوف يورثونها من بعدهم . وفي كلا النتاجين تعد على الأخلاق الإنسانية الفاضلة ولذا أحسن أحمد شوقي عندما أقام واجب العزاء لمن أصيبوا في أخلاقهم فكأنهم موتورون بفقد أخلاقهم فعلى غيرهم أن يبكي لحزنهم بكاءً شديداً لأنهم لا يدركون مقار ما فقدوه فاستحقوا أن يبكي لهم وعليهم .

ومن الحكم العملية أيضاً لدى أحمد شوقي : وجدت الفكر الديني ، وأقصد به أن تكون أبيات الحكمة عند أحمد شوقي مشتملةً على وصايا دينية إسلامية ، أو على أمور دينية ، فمثلاً في قصيدته (كبار الحوادث) يقول في البيت ٨٢ :

هكذا الدهر حالةٌ ثمَّ ضدُّ ما لحالٍ مع الزمان بقاء^(١)

هذا البيت الذي يذكر فيه أحمد شوقي تقلب الأزمنة على الناس من الأمور التي أوجدها الله في خلقه قال الله تعالى في كتابه الكريم (و و و و و و) ، فالبقاء على حالٍ واحدةً من المستحيلات .

يقول أيضاً في نفس القصيدة في البيت ١٨٨ :

(١) الشوقيات، ص ١٠٧ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة آل عمران آية ١٤٠ .

سنة الله في الممالك من قبلُ ومن بعدها ما لُعمى بقاء^(١)

وهذا البيت يؤيد البيت السابق في ذكره لسنة الله في خلقه .

ويؤيده في الحديث عن التقلب في الزمان قوله في قصيدته (صدى الحرب) البيت ١٢٢:

تطوع أسراً منهمُ ذلك الذي تطوع حرباً والزمان تقلبُ^(٢)

عن جملة الزمان قلب تعطينا معانٍ كثيرة تدل على التغير وعدم الاستقرار في الحال ومهما بلغت العرب من بلاغةٍ وبيان مثلما قال القائل : قلبٌ لو رفع^(٣) إلا أن كلام الله أبلغ وأجمل . وقد أعاد أحمد شوقي هذا المعنى ولفظٍ قريبٍ منه كثيراً في قصيدته (ضيف أمير المؤمنين) في البيت ٢١:

هكذا الدهر حالةٌ ثم ضدُّ ما لحالٍ مع الزمان دوام^(٤)

وهذا المعنى يذكرني ببيتٍ للبارودي قريبٌ معناه من هذا المعنى فهو يقول في قصيدته (النفس الأبية):

يوذُ الفتى ما لا يكونُ طماعاً ولم يدر أن الدهر بالناس^(٥)

وقال شوقي في قصيدة (توت عنخ آمون) البيت ٧٦:

يحب المرء نبش أخيه حياً وينبشه ولو في الهالكينا^(٦)

يتكلم شوقي هنا عن خلقٍ نميمٍ موجودٍ في بعض الناس الذين مرضت نفوسهم واتخذوا من أعراض الناس فاكهةً يتفكهون بها ويتسلون ويقطعون بها أوقاتهم وهذا الخلق النميم هو الغيبة التي حرمها

(١) الشوقيات ، ص .

(٢) نفسه، ص ١٢٨ .

(٣) الصاحبى، لابن فارس، تحقيق الدكتور/ عمر الطباع، ص٤٦، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى .

(٤) الشوقيات، ص ٤٤٣ .

(٥) ديوان البارودي، ضبط وتحقيق علي الجارم و محمد معروف ، مكتبة دار البيان، الطائف ٤٤/١ .

(٦) الشوقيات، ص ١٧٦ .

التي إذا أصيبت هلكت ؛ فكل خسارةٍ سواها لا تُعد خسارة ، فسلامة ركائز الأخلاق سلامة لما سواها ، بل إن شوقي يجعل بقاء الأمم مرهونٌ بحفاظها على أخلاقها فإن تركوا الحفاظ عليها ذهبت أخلاقهم وذهبوا معها وفنوا ، والشواهد التاريخية كثيرة على ذلك فالله جلّ وعلا قصّ لنا في كتابه الكريم قصة القرية الآمنة المطمئنة التي يأتيها رزقها من كل مكان ولكنهم لما كفروا بالله وجدوا الله وهم من سوء الأخلاق مع الله أذاقهم الله لباس الجوع والخوف جزاءً لهم .

وقال في قصيدته (الأندلس الجديدة) البيت ٢١ :

ولقد يُقام من السيوف وليس من عثرات أخلاق الشعوب قيام^(١)

يقول شوقي إن المرء يستطيع النهوض من بعض ضربات السيوف ويستطيع العيش مع ما أصابه منها حياةً كريمة ، لكن المشكلة تكمن في عدم مقدرة المرء أن يعيش تلك الحياة الكريمة في ظل الأخلاق العائرة في مستنقع الرذائل والغارقة في بحور الهوى والضلال ، لأن العثرات الناتجة من ضربات السيوف يكون ألمها لحظياً ويمكن تجاوزه بالعزيمة والإصرار ، أما عثرات الشعوب في أخلاقها فهي سلبياتٌ تمتد عبر الأجيال .

ويقول في قصيدته (نهج البردة) في البيت ٣٦ :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم^(٢)

يُرجع شوقي هنا صلاح الأمور كلها إلى صلاح الأخلاق ، فلو أصلح المرء أخلاقه مع خالقه لنال رضاه ، ولو أصلحها مع والديه لكسب رضاها ، ولو أصلحها مع أقاربه لكسب محبتهم ، ولو أصلحها مع جيرانه لكسب جيرتهم ، ولو أصلحها مع زملائه لكسب أخوتهم ، ولو أصلحها مع الناس لكسب قلوبهم . بل يكسب بها قلوب أعدائه لذا يقول شوقي في نفس القصيدة في البيت ٦١ :

إن الشمائل إن رقت يكاد بها يُغري الجماد ويُغري كلُّ ذي

(٣) -

وهذا ما حدث فعلاً مع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة

(١) نفسه ، ص ٢٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) نفسه ، ص ٢١٧ .

وأزكى التسليم عندما ملك بأخلاقه القلوب وأسر حبها وما زال فنال حب الله وحب عباده المؤمنين إلى يوم القيامة .

ومن الأبيات التي دعا فيه شوقي إلى أمر ديني قوله في قصيدته (أتغلبني) في البيت ١٨ :

وَمَنْ لَمْ يُقَمْ سِثْرًا عَلَى عَيْبٍ يَعِشُ مُسْتَبَاحَ الْعَرَضِ مُنْهَتِكِ
 (١)

إنَّ هذه الحكمة الجميلة تذكرنا بأمرٍ أخبر به النبي ﷺ وهو ما ينتج عن تتبع عورات الناس ، فقد قال ﷺ : (فإنه من تتبع عورة أخيه المسلمٍ تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه^(٢) إذن لا تهاون مع الذين يفضحون ولا يسترهم غيرهم ، بل يكون الجزاء من جنس العمل ويعجل الله لهم هذا الجزاء في الدنيا قبل الآخرة ، ويهيأ الله له من يفضحونه ولذا قال شوقي يعش مستباح لأن الأصل عدم إباحة فضح الناس بل الأصل الستر عليهم .

وأختم كلامي عن حكمة شوقي في الأخلاق ببيت من قصيدته (صقر قريش) في البيت ١٠١ :

وإذا الأخلاق كانت سلماً نالت النجم يد المُلتمس^(٣)

إن النفوس الأبية سعيها دوماً إلى المعالي ، وتتعب لذلك وتبذل كل غالٍ ، ويكون الصعود إلى المعالي شاقاً ولذا يستعين العقلاء بما يملكونه من مخزونهم الأخلاقي فهي خير معينٍ لهم ، بل يصلون بها الثريا وهم على الثرى ، وشوقي يجعل المعالي منهم قريبة جداً لدرجة أن أيديهم تمسك النجوم البعيدة المنال .

إن كثرة حديث شوقي عن الأخلاق جعل الكثيرين يصفونه بشاعر الأخلاق ، وعن هذا الوصف يقول الدكتور حلمي علي مرزوق :

« وقد أصاب الذين وصفوا شوقي بأنه شاعر الأخلاق ، إلا أن هذا الاصطلاح لا يوفيه حقه بحال ، لأنَّ الأخلاق اختلطت في أذهان الناس بالإصلاح المدرسي المعهود الذي يقف بها عند القواعد المقررة في

(١) مصدر سابق، ص ٦٥٥ .

(٢) الترغيب والترهيب، للمنزري، الجزء الثالث، ص ١٩٨، دار ابن كثير الطبعة الأولى .

(٣) الشوقيات، ص ١٦٠ .

(الحكمة النظرية)

إن من أهم الأمور في حياة الشاعر أن يبني جسر تواصلٍ بينه وبين الناس ، يشاركهم جميع أحوالهم ، فيكون شعره أنشودة الفرح إذا فرحوا ، والعيون الباكية إذا حزنوا ، والألّ يبني لنفسه برجاً عاجياً ثم يطلب من الناس أن يقبلوا على شعره ، فإن هو فعل ذلك فلن يكُ له ذكرٌ بينهم ، ولذا عرف أحمد شوقي هذا الأمر وأدركه فتواصل مع شعبه ووطنه وأمته بعدما ظلّ لسنواتٍ طوال شاعر القصر فقط ، ولم يكن شعره الاجتماعي مقتصرًا على وطنه فقط الذي عبّر عن حبه له دون منازع عندما قال في :

وطني ولو سُغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي^(١)

بل تجاوز الحدود الجغرافية وأصبح شاعراً يتغنى لأمته وعروبته ، واستطاع بحنكته أن يجمع القلوب على حبه وحب شعره على اختلافها فهو في القصر يمدح الترك وخلافتهم ، وخارج القصر كان شعره للناس جميعهم ينطلق من عواطفه الدينية فكان يشعر بالأم المسلمين في كل مكان بل استطاع أن يدخل إلى القلوب من خلال قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ والتي عارض بها البوصيري فملك بها القلوب قبل الأذان يقول أحمد زكي : « طالما عارض الناس بردة البوصيري في القديم وفي الحديث بمئات ومئات من المنظومات ، لكنّ الصيت بقي لهذه البردة وحدها إلى الآن ، على أنّ قصيدة شوقي وإن لم تُرححها عن مكانتها فإنها نالت شرفاً ليس له نظير ، ذلك بأنّ الأستاذ الأكبر الذي انتهت إليه وبه سلسلة الحديث النبوي في مصر ، الشيخ سليم البشري مع جلاله قدره وسمو مركزه ورفيع مقامه ، قد تولّى بنفسه وقلمه شرح هذه القصيدة ، وقد صاغها شوقي ولا يزال في سن الفتوة وطراءة الشباب ، لكن براعته فيها جعلت شيخ الشيوخ يعرف فضلها ويقدر ناظمها ، ثم يتوفر على شرحها ، وما رأى الناس لذلك مثيلاً قبل شوقي »^(٢) .

ولم يغفل أحمد شوقي أنّ وطنه يضم بين جنباته من يجتمعون معه في العروبة ويختلفون معه في الدين فغنى شعراً للمسلمين وللمسيحيين

(١) الشوقيات، ص ٥٦٠ .

(٢) ذكرى الشعراء، ص ٣٣١، نقلاً عن (شوقي شاعر العصر الحديث، للدكتور شوقي ضيف، ص ١٢٧، دار المعارف الطبعة الثانية عشرة) .

مثلاً قال بمناسبة رأس السنة الهجرية وصادف يومها عيداً للمسيحيين :

عيد المسيح وعيد أحمد أقبلا يتباريان وضاءً وجمالاً
ميلاد إحسان وهجرة سوؤدٍ قد غيرا وجه البسيطة حالاً^(١)

ولكني سأتناول بعضاً من حكمته الاجتماعية التي ذكر بها بعض الظواهر الاجتماعية ، فيقول في قصيدته (على قبر نابليون) البيت ٣٠ :
لا يقولن امرؤٌ أصلي فما أصله مسكٌ وأصل الناس
(٢).

يذكر شوقي هنا طائفة من البشر قد أصيبوا بالانخداع بالشكليات والتي من ضمنها التفاخر بالأنساب والأحساب ، ويذكرهم شوقي هنا بالأصل الأول الذي يجمع الناس جميعاً ألا وهو الطين الذي خلق الله منه آدم عليه السلام أبو البشر جميعاً كما قال الله سبحانه في محكم التنزيل « إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً من طين »^(٣) وهذا التعالي على الغير يجعل المتعالي يحتقر أخاه المسلم وهو مما نهينا عنه ولو كان لأحدٍ أنت يفاخر بنسبه لفاخر به أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام وحُقَّ له ذلك الذي قال : « إنَّ الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم »^(٤).

ولذلك عتف النبي □ على أبي ذرٍ رضي الله عنه عندما سابَّ رجلاً فشكاه إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال لأبي ذر : « يا أبا ذر . أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤٌ فيك جاهلية »^(٥).

هذا الكلام يقودني للحديث عن مظهرٍ اجتماعي آخر جاء شوقي على ذكره بعدما شاهده بعينه وهو التقليل من شأن اليتيم الذي فقد والديه أو أحدهما من قبل بعض الناس فيقول في قصيدته (العلم والتعليم) :

(٢) الشوقيات ، ص ٢١٠

(٢) نفسه ، ص ٨٦٦ .

(٣) سورة ص الآية ٧١ .

(٤) صحيح مسلم ، ص ١٠٠٨ دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ، ط ٢ .

(٥) صحيح البخاري ، ص ١٠٥٦ .

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما وبحسن تربية الزمان بديلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أما تخلت أو أباً مشغولاً^(١)

في الأبيات السابقة يتناول شوقي أمرين أولهما: تعريف اليتيم في نظره وهو تعريف يختلف عما تعارف عليه الناس من أن اليتيم من فقد والده. فإذا عوضه الله عنهما حكمةً وحسن تربيةً يتقوى بهما على الأيام فهو ليس يتيماً ، إنما اليتيم عنده من كان أبواه على قيد الحياة ولكنهما تركاه بلا تربيةٍ ولا اهتمامٍ إما انشغالاً أو تخلياً .

وفي قصيدة أخرى يؤيد شوقي نظريته هذه بكلامٍ جميل فيقول في قصيدته (انتحار الطلبة) - وقد قالها في مناسبة اجتماعية - في الأبيات ٤٢/٤٣/٤٤ :

رُبَّ طفلٍ برحَّ البؤسُ به مطر الخير فتياً ومطر
وصبيٍ أزرت الدنيا به شبَّ بين العز فيها والخطر
ورفيعٍ لم يُسوده أبٌ مَنْ أبو الشمس ومَنْ جد القمر؟^(٢)

ازدروهم بنظراتهم ، فنالوا سيادةً لم يرثوها من آبائهم إنما هم من صنعها ولذا قال شوقي مستفهماً : من جد الشمس والقمر؟ ليقرر حقيقةً وهي أن الشمس والقمر بما أنهما تسيدا الكواكب في النهار والليل فكذلك بعض البائسين الذين لا يُلقى لهم بالاً قد يسودوا كما سادت الشمس والقمر وبدون أن يُسأل عن آبائهم وأجدادهم فأعمالهم أغنت عن السؤال عن ذلك ، وأما الأمر الثاني الذي تدل عليه أبياته فهو : أن الإنسان قد يكون أباً لكنه أبٌ غير متحملٍ لمسئوليته تجاه من جعلهم الله أمانةً في عنقه وسيسأله عنهم يوم القيامة ، ولذا ذكر شوقي في قصيدة له أخرى هذا النوع من الآباء فقال في قصيدته (مصطفى باشا فهمي) في البيت ٥٢ :

ما كل ذي ولد يُسمى والداً كم من أبٍ كالصخرة الصماء^(٣)

الكثير من الآباء هم عددٌ فقط ؛ ومحسوبون على المرابين ، ولهذا

(١) الشوقيات، ص ٤٢١ .

(٢) السابق، ص ٤٠٢ .

(٣) نفسه، ص ٧٠٧ .

رُبَّ عاثٍ في الأرض لم تجعل الأرض له إن قام أو سار وزنا
عاش لم ترمه بعين وأودى هملاً لم تهب لناعيه أذناً^(١)

هذه حياة من ظنّ أنه خُلق للهو الحياة وملذاتها ؛ فلا قيمة له بين
الناس لأنهم ينظرون إليه فلا يرون إلاّ عابثاً فلا يأبهون لحضوره أو
لغيابه فيهلك لا يأبه الناس لهلاكه وأودى بمعنى هلك وقد قال عباس بن
مرداس رضي الله عنه لما أسلم :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل
(٢).

وضمار : حجرٌ كان يعبده مرداس. وقالت امرأة حنظلة الأسيدي :
إن سواد العين أودى به حزني على حنظلة الكاتب^(٣)

وقد ذكر شوقي الفرق بين خبر موت كلا الفئتين وردة فعل الناس
نحوه فيقول في قصيدته (علي بهجت) في البيت ٧٥ :
وميّت ضجّت الدنيا عليه وآخر ما تحس له نعيّاً^(٤)

فالناس يشهدون بما يرون ويتأثرون بذلك وكما ورد عن النبي ﷺ في
الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال لما مرت الجناتان
فأنتى الناس على الأولى وذكروا الأخرى بشر فقال : « أنتم شهداء الله

في الأرض »^(٥). وشوقي هنا يركز على أهمية العمل في الحياة والسعي
لغايات سامية حتى يبقى ذكر الإنسان حتى بعد مماته فهو العمر الثاني
كما سماه :

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمرٌ ثاني^(٦)

وقد أعاد شوقي في قصيدته (شكسبير) معنى حياة الأموات وموت

(١) الشوقيات، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ، ابن هشام ، الجزء الرابع ، ص ٥١ ، دار المعرفة .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، الجزء الأول، ص ٣٥٩، مطبعة مصطفى

محمد ، مصر ١٣٥٨ .

(٤) الشوقيات، ص ٨٨٥ .

(٥) صحيح البخاري، ص ٢١٩ .

(٦) الشوقيات، ص ٨٥٣ .

الأبناء وأنه من الأمور التي لا يمكن للشخص تجاهلها ، وهم في كل الأحوال يتعلق القلب بهم في السراء والضراء .

و التاريخ دائماً يكون مصدراً للشعراء يعودون إليه ويستلهمون من أحداثه شتى العظات والعبر ، يقول الدكتور فوزي عطوي : « ومتى تعدى الكاتب حدود السرد الممل في غالب الأحيان إلى التعليق والتعليل والتحليل والتحليل في آفاق إنسانية تتجاوز حوادث التاريخ إلى تفسير هذه الحوادث ، وربط الأسباب بالمسببات ، كان له فضل مزدوج فيما يقدمه للناس من كتابات : فضل المؤرخ الذي لا يتحيز في ذكر الحقائق التاريخية ، وفضل الفنان المبدع الخلاق الذي يضيف على التاريخ الممل وشاحاً من الندوات الرطاب .

وأحمد شوقي كسب الفضلين معاً في شعره التاريخي ، فأرّخ أحداث عصره ، على الصعيد المصري والعربي والإسلامي ، كما أرّخ أحداثاً أخرى ضاربة في القدم ، لكنه يعترف ، مزهواً بالاعتراف ، أنه في موكب التاريخ مفكر فرد ، لا ينقطع عن ماضي وطنه ، ولا ينفصم عن مستقبله ، وإنما يكون بمثابة الحلقة المفقودة التي لا بد لها أن تنتظم في عقد التاريخ الفكري حتى يسير التاريخ مسيرته التي لا تعترضها عقبات ولا تعيقها عثرات »^(١) .

« ولاهتمام شوقي بالتاريخ في شعره لم يقتصر على مصر وحدها ، فقد كان شأنه هنا أيضاً مثل شأنه في وطنياته ، حيث النظرة الشمولية البعيدة الأفق ، وحيث الفكرة الثاقبة ، والعاطفة الدافقة ، والاستيعاب المتعمق ، كل ذلك يلوح لك ويكشف عن الإكبار العظيم الذي يكنه الشاعر لكل أثر عظيم من آثار الشعوب ، ولكل رجل فكرٍ أو حربٍ كان له دورٌ بارزٌ في تاريخ بلاده »^(٢) .

إنّ الحكمة في تاريخيات شوقي تكون من باب العظة والعبرة والتفكير في أمورٍ حدثت لمن سبق ، وربما استعان شوقي بحكمته كدليلٍ على حدثٍ تاريخي وأثره ، فمثلاً يقول في قصيدته (توت عنخ آمون) في البيتين ٢١، ٥٦:

(١) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ ، للدكتور/ فوزي عطوي، ص ٥٧، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

أن كانت الدنيا تستضيء بالإسلام والمسلمين في الأندلس التي كانت منار علم ونور للعالم أجمع ؛ انقلب الحال وأصبح من يملك زمام العلم والمعرفة غير العرب والمسلمين والأندلس فتحها المسلمون على يد القائد طارق بن زياد

وتظهر الحسرة واضحة في كلامه ، ويشعر بها كل عربي مسلم غيور على أمته وتاريخها الماضي التليد الذي يسعى الأعاجم إلى أن يحولوا رقبة العالم للنظر فيما يقدمونه الآن لينسى الناس أن اللبنة الأولى للعلم البشري وضعها العرب المسلمون في الأندلس ولذلك وجب علينا أن نحافظ على تاريخنا ونظل نذكره فشوقي يقول في قصيدته (الرحلة إلى الأندلس) في البيت ١١٠ :

وإذا فاتك التفاتٌ إلى الماضي فقد خاب عنك وجه التأسي^(١)

وأحياناً يورد شوقي شواهد تاريخية في حكمه ومثال ذلك قوله في قصيدته (بين الحجاب والسفور) في الأبيات ٣٨, ٣٩, ٤٠, ٤١ :

مسـتـجمـع كـالـليـث إن يُجـهـل عـلـيـه يُجـهـل
أسمعت بالحكمين في ال إسلام يوم الجنـدل
في الفتنة الكبرى ولو لا حكمة لم تُشعل
رضي الصحابة يوم ذ لك بالكتاب المنزل^(٢)

في البيت الأول يذكر شوقي منهجية تاريخية موجودة عند بعض العرب في العصر الجاهلي ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبي وقد وردت هذه المعاملة في القرآن من باب المقابلة في الرد. أيضاً وجدت شوقي يستعين ببعض المسميات التاريخية : فمثلاً يقول في قصيدته (صدى الحرب) في البيت ١٠٦ :

وما هي إلا دعوةٌ فإجابةٌ إن التحمت والحرب بكرٌ وتغلب^(٣)

وبكر وتغلب قبيلتان عربيتان وقعت بينهما حرب عظيمة في الجاهلية قال ياقوت الحموي : « وبقصة كانت وقعة بكر وتغلب العظمى

(١) نفسه، ص ٥٦٦ .

(٢) السابق، ص ٦٠٦ .

(٣) نفسه، ص ١٢٧ .

في مقتل كليب، والجاهلية تسميها حرب البسوس، وفيه كان يوم التحالق فكانت الـ ديرة لبكر بن وائل على تغلب فتفرقوا من ذلك اليوم، وبعد تلك الواقعة كانت الوقائع التي جرّها قتل كليب بن ربيعة حين قتله جساس بن مرة فشتتهم أخوه المهلهل في البلاد» (١).

ويقول شوقي في قصيدته (نهج البردة) في البيت ٦٧ :

لقبتموه أمين القوم في صغرٍ وما الأمين على قولٍ بمتهم (٢)

بما أنّ الحديث سيد الخلق عليه الصلاة والسلام فإن شوقي أو غيره سيطول به الحديث وهو يعدد صفاته □ وبما أنّ الحق ما شهدت به الأعداء ؛ يعود بنا شوقي إلى ما قبل البعثة النبوية فيجد أنّ أهل مكة كانوا يلقبونه بالأمين وقد ارتضوه حكماً في حادثة وضع الحجر الأسود لما أعيد بناء الكعبة ومما ورد عند البخاري :

« حدّثنا قتيبة حدّثنا عبدُ الواحدِ عن عُمارةَ بنِ القَعْقاعِ بنِ شُبْرُمَةَ حدّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبي نُعم قال: سمعتُ أبا سعيدِ الخدريّ يقول: «بعثَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه إلى رسولِ اللهِ □ منَ اليمنِ بذهبيّةٍ في أديمٍ مقروطٍ لم تحصّلْ من ترابها، قال: فقسّمها بين أربعة نفر: بين عُبيّنةَ بنِ بدرٍ، وأقرعَ بنِ حابسٍ، وزيدِ الخيلِ، والرابعُ إما علقمةٌ، وإما عامرُ بنُ الطفيلِ. فقال رجلٌ من أصحابه: كُنا نحنُ أحقُّ بهذا من هؤلاء. فبلغَ ذلكَ النبيّ □ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمينٌ من في السماء، يأتيني خبرُ السماءِ صباحاً ومساءً؟ قال: فقام رجلٌ غائرُ العينين، مشرفُ الوجنتين، ناشزُ الجبهة، كثُ اللحية، محلوقُ الرأس، مشمّرُ الإزار فقال: يا رسولَ اللهِ اتقِ الله. قال: ويلك! أولستُ أحقُّ أهلِ الأرضِ أن يتيقِيَ اللهُ؟ قال: ثمّ ولى الرجلُ. قال خالدُ بنُ الوليدِ: يا رسولَ اللهِ، ألا أضربُ عنقه؟ قال: لا، لعلّه أن يكونَ يُصليّ. فقال خالد: وكم من مُصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسولُ اللهِ □: إني لم أومرُ أن أنقبَ قلوبَ الناسِ ولا أشقُّ بطنَهم. قال: ثمّ نظَرَ إليه وهو مُقفٍ فقال: إنه يخرجُ من ضيّضيءٍ هذا قومٌ يتلون كتابَ اللهِ رطباً لا يجاوزُ حدَّ أجرهم يمرقون م

(١) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ .

(٢) الشوقيات ، ص ٢١٨ .

الدِّينُ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل
ثمود» (١).

وقال شوقي في قصيدته (الانقلاب العثماني) في البيت ٤٤ :

إنَّ القضاء إذا رمى دكَّ القواعد من ثبير (٢)

يستدل شوقي هنا على قوة القضاء إذا نزل بالنصر بأمر الله فلا يقف أمامه شيء بل يدك كل ما أمامه حتى ثبير ذلك الجبل العظيم بمكة ومما ورد في ذكره ما أورد ابن حجر رحمه الله (١٦٨٤ - حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عمرو بن ميمون يقول «شهدت عمر رضي الله عنه صلى بجمع الصبح، ثم وقف فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير. وأن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس». [الحديث ١٦٨٤ - طرفه في: ٣٨٣٨].

قوله: (باب متى يدفع من جمع) أي بعد الوقوف بالمشعر الحرام.

قوله: (عن أبي إسحق) هو السبيعي.

قوله: (لا يفيضون) زاد يحيى القطان عن شعبة «من جمع» أخرجه الإسماعيلي، وكذا هو المصنف في أيام الجاهلية من رواية سفيان الثوري عن أبي إسحق، وزاد الطبراني من رواية عبيد الله بن موسى عن سفيان «حتى يروا الشمس على ثبير».

قوله: (ويقولون: أشرق ثبير) أشرق بفتح أوله فعل أمر من الإشراق أي أدخل في الشروق، وقال ابن التين: وضبطه بعضهم بكسر الهمزة كأنه ثلاثي من شرق وليس بيبين، والمشهور أن المعنى لتطلع عليك الشمس وقيل: ومعناه أضيء يا جبل، وليس بيبين أيضاً. وثبير بفتح المثناة وكسر الموحدة جبل معروف هناك، وهو على يسار الذهاب إلى منى، وهو أعظم جبال مكة، عرف برجل من هذيل اسمه ثبير دفن فيه. زاد أبو الوليد عن شعبة «كيما نغير» أخرجه الإسماعيلي، ومثله لابن ماجة من طريق حجاج بن أرطاة عن أبي إسحق، ولطبري من طريق إسرائيل عن أبي إسحق «أشرق ثبير لعننا نغير» قال الطبري: معناه

(١) صحيح البخاري، ص ٧٣٧.

(٢) الشوقيات، ص ٢٦٧.

وصيرته ملكاً هماما» (١)

أيضاً من الصفات الإنسانية في حكمة شوقي: حديثه عن ما تعانيه نفوس المحبين من ألم فراق ومن وجد فيقول في قصيدته (نهج البردة) في البيت ٤/٣:

لما رنا حدثتني النفس قائلةً: يا ويح جنبك بالسهم المصيب
جرح الأُحبة عندي غير ذي ألم

يتحدث شوقي هنا عن تحمله كمحب ما يجد من ألمٍ ممن يحبهم فهو يكتم في نفسه هذه الجراح لأن النفس تتقبل الألم إن تسبب به من تحبهم ، بل ربما كان وقعه جميلٌ عليها ولربما بحثت عنه عندهم لأنها تجد لذة من معاناته .

وحديث شوقي هنا عن المحبين وأحوالهم جعله مدخلاً للحديث عن أفضل الحب بعد حب الله وهو حب رسوله □ الذي يتقرب المؤمنون بحبه إلى الله عز وجل ، فما مدحه بهذه القصيدة إلا من محبته له ولذا قال في البيت ١٠٢:

مديحه فيك حبٌ خالصٌ وهوىٌ وصادق الحب يملي صادق الكلم

يتكلم هنا عن البوصيري الذي يسير شوقي على خطاه في قصيدته التي مدح بها النبي □ ، والحب من الأمور النفسية التي خلقها الله سبحانه وتعالى ولذلك كان النبي عليه السلام يطلب من الله سبحانه وتعالى ألا يلومه في تفضيل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على غيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين ، قال ابن القيم رحمه الله : « قالوا كان يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة، وأما المحبة فكان يقول: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تُلْمَنِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ» فقيل: هو الحب والجماع، ولا تجب التسوية في ذلك، لأنه مما لا يُملك» (٤)

(١) تاريخ الطبري، ج٧، ص٦٤١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦ .

(٢) الشوقيات، ص ٢١٢ .

(٣) السابق، ص ٢٢٠ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، الجزء الأول، ص ٣٨، المطبعة المصرية ومكتبتها .

فإذا كان هذا حال سيد الخلق عليه السلام مع عائشة رضي الله عنها ؛
إذن هو دليل على أن المحبة من أشد الأمور النفسية لدى البشر ولذا كان
المحب كما قال شوقي يستأذ بأذى محبوبه له ويجده من سبل الوصل بينه
وبين من يهوى .

الفصل الثاني

التشكيل

وهو ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : اللغة في شعر الحكمة
- المبحث الثاني : الإيقاع
- المبحث الثالث : موقع أبيات الحكمة في القصائد

المبحث الأول

اللغة في شعر الحكمة

عرف عن شوقي حبه للاطلاع وعدم اقتصاره على ثقافته العربية ، مما جعله يتجه لثقافاتٍ غربيةٍ أعجب بها للإفادة منها وهذا ما تحدثت عنه في هذا البحث في كلامي عن ثقافة شوقي الأجنبية ، وبما أنه أحب هذه الثقافة الأجنبية أحب ما فيها من تجديدٍ بما في ذلك من تجديد لغوي ، فأراد شوقي أن ينقل ما أحبه لأدبه العربي فكما أحب شوقي شعر شكسبير المسرورحي وأفـــــــاد منه ، يبدو أنه أحب تلك اللغة الشعرية السهلة الموجودة عند شكسبير ؛ فظهر هذا التأثير في لغة شوقي ، ووثق هذا الأمر احتفاؤه بمن قرأ لهم في الأدب الفرنسي كهيجو ولامرتين ولافونتين ، ولكنّ هذا الأمر وجد معارضةً لشوقي من النقاد الذين اعتبروا في هذه اللغة الأدبية التي ظهرت عند شوقي خروجاً على التقاليد العربية ، ولذا قام اليازجي في مجلته البيان بكتابة فصل عن رسالة شوقي المسماة بعذراء الهند وانتقد نثر شوقي وقال : (كيف يرضى إنسان بعد أن يكون في الشعر هو الأول أن يكون في النثر هو الأخير) ^(١) ، وقد قام شكيب أرسلان بالرد على اليازجي بمقالة كتبها في جريدة الأهرام العدد (٦٠٣٢) المؤرخ في يوم الثلاثاء الثالث من رمضان سنة ١٣١٥ فصل الرد فيها على اليازجي وأبان فيها الفضل لشوقي ثم ختمها بقوله : « ومع هذا فلا يحزنن أخي شوقي انتقاد البيان ولا غيره فليس في انتقاد ما يكفر باهر حسناته ويخفض من مقامه المنفرد في الشعر » ^(٢) .

وكذلك فعل المويلحي مع شوقي وكتب في صحيفة (مصباح الشرق مقالاتٍ متفرقةٍ ينتقد بها اتجاه شوقي إلى التجديد) ^(٣) .

وعن هذه الاختلافات في الرأي في لغة شوقي الجديدة يقول الدكتور شوقي ضيف : « وهذه الحركة في حقيقتها كانت دليل اختلال حدث بين الشعر والنقد ، فالشعر قد أخذ في التغير ، لأن جماعةً من الشعراء تتفتت الثقافة الغربية ، واطلعت على الآداب الأجنبية ، فأرهب حسها ،

(١) شوقي ، ص ٥٤ .

(٢) نفسه ، ص ٥٨ .

(٣) شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٩٥ .

ورق مزاجها ، وتهذب ذوقها ، وليس هذا فحسب ، فقد رأى شوقي وأمثاله أن الشعر العربي بصورته المألوفة أصبح مملاً لكثرة دوران معانيه بين الشعراء من امرئ القيس وزهير إلى عصرهم في أمثلةٍ ونماذج لا تتبدل مهما مرت الأحقاب والدهور . . . ونظن ظناً أن هذا النقد المحافظ الذي استقبل شوقي في شبابه أثر فيه أثراً كبيراً ، فإن فورة التجديد التي نقرأها في مقدمته لشوقياته لا تلبث أن تهدأ في نفسه ، ويقبع شوقي في القصر وفي إطار الشعر العربي القديم ، يعارض قصائده كل فن ، كأنه يريد أن يثبت لا صلته بالشعراء القدماء فحسب ، بل أيضاً تفوقه وانتصاره عليهم» (١) .

وتلخيص ما سبق ذكره من النزاع في الرأي على لغة الشعر عند شوقي والوقوف ضد روح التجديد فيها مما جعله يتوجه إلى طريقة الشعر القديم ويغلق باب التجديد عنده .

بيد أن شوقي لم يكن اتجاهه للقديم هروباً من النقد ومن الحملة التي قامت ضده مدعاةً للظهور بصورة ضعيفة ، لا يرى فيها غير التقليد والنسخ لمن سبقوه ، بل ظهر شوقي مبدعاً في تقليده قوياً في تمسكه ومحافظته ، وكان شعره الذي عارض به بعض الشعراء القدماء ماهو إلا شعرٌ قيل في عصر من عارضهم .

وهذه الصلة بين شوقي وبين القدماء لم تأت بعد نقده ، ولكنها موجودةٌ عنده من قبل ، والدليل إشاراتُه ببعض الشعراء القدماء في مقدمته للطبعة الأولى من شوقياته كأبي فراس وأبي العلاء وأبي العتاهية والبهية . ثم تغنيه بالمتنبي ، بل إن تسميته لداره بكرمة ابن هانئ دليلٌ على تعلق قلب شوقي بالشعر القديم ، ويبدو أن عودته عن التجديد للقديم ما هي إلا عود على بدء ، وحب قديم متمكن من شاعريته لا يستطيع تركه أو تجاهله .

إن شوقي شاعر محافظ على الشعر القديم وعلى كل ما يختص به ، بما في ذلك لغته ، والشعر القديم يعتبر معاشاً للغة الفصحى الأولى حتى إن النحاة اعتمدوه في تفعيد قواعدهم النحوية بما يستشهدون به من شعر

البغي في دين الجميع دنيئةُ والسلم عهدٌ، والقتال زمامُ

- لتفسير شذوذ في الرأي :

أرى راحةً بين الجنادل وكل فراشٍ قد أراح وثيرُ

- لتعليل تشعب في الوضع :

ما جئتُ بابك مادحاً بل داعياً ومن المديح تضرعٌ ودعاءُ

وإذا كان التركيب الحكمي اسماً منسوخاً ، كانت أداة نسخه (إن) عادة . وبإن - وهي أداة توكيد كذلك- يزداد المعنى الحكمي تأكيداً كالتأكيد في قوله :

إنَّ للظالم صـدراً يشتكى من غير علمه

أو قوله في سياقٍ آخر رثائي :

آثاره بعد الموات حياته إنَّ الخلودَ الحقَّ بالآثارِ

وضرب الحكم في هذا القلب يخرجها مستحكمة كالقواعد الثابتة والقوانين السرمدية لا كخواطر الذهن التي قد لا تثبت.

التركيب الشرطي :

أما تقييد الحكمة بالشرط بضربها في تراكيب شرطية تلازمية فلم يكن إلا بأدوات (مَنْ) و (لو) و (لولا) :

- مَنْ :

وَمَنْ يُفْجِعْ بَحْرٌ عبقريُّ

وَمَنْ تترأخ مدته فيكثُرُ

- إذا:

وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما

ضي فقد غاب عنك وجهه

- إن :

إن تفقدوا الآساد أو أشبالها

فالغاب من أمثالها مأهولُ

- لو:

فلو كان الدوام نصيب مَلِكٍ لنال بحد صارمه الدواما
- لولا :

ولولا المحسنون بكل أرض لما ساد الشعوبُ ولا استقلوا

وليس اقتران التراكيب الشرطية بهذه الأدوات دون غيرها مخصوصاً بالحكمة من حيث هي حكمة ، ولا مفضياً إلى طرفية معينة من قبل أن هذه الأدوات هي أكثر أدوات الشرط اطراداً في العربية ، لكننا نلاحظ اختلافاً في درجة الأهمية بينها . فالترتيب المذكور يخالف ترتيب هذه الأدوات في العربية إذ تأخرت (إن) (أم الشرط) في الشوقيات وتقدمت عليها مَنْ وإِذَا . وهذا التعبير في رأينا مرتبطٌ بالسياق الحكمي .

فالذي نرى أن وفرة ضرب الحكمة في تركيب شرطي ب (مَنْ) ظاهرة تعرب عن تعلق الحكمة بالكائن العاقل أي بالإنسان ، ذلك أن (مَنْ) من قبيل الأسماء الدالة على العاقل .

فلئن كانت الحكمة بمختلف تراكيبها موجهةً إلى الإنسان فإن التركيب الشرطي ب مَنْ أكثرها تصويراً لتعليق الحكمة به وأكثرها إعراباً عن مسؤوليته كإنسانٍ عاقل في اختيار مصيره . هكذا يبقى تحقق معنى الحكمة رهين إرادة الإنسان أولاً .

ونفسر ضرب الحكمة في تركيبٍ شرطي ب (إذا) في الشوقيات بظاهرة تعليقها إلى حدٍّ ما بالظرف ، لأن في (إذا) الشرطية دائماً بقية من معنى الظرف تضعف وتقوى بحسب السياق ولكنها لا تتمحي . فتحقق معنى الحكمة في هذه الحالة رهين توفر ظرفٍ معين .

أما قلة ضربها في تركيبٍ شرطي ب (إن) فيرجع حسب ما تبينا إلى أنه ليس في معنى هذه الأداة غير معنى الشرط المجرد غالباً . ولئن كانت الحكمة واقعةً في دلالاتها على حقائق مجردة ، فإنها تستوحى أبداً من واقعٍ وتضربُ في ظروفٍ معينة وفي أشخاصٍ معينين .

تراكيب أخرى :

ونسبة ورود الحكمة في غير هذين التركيبين قليلة عامةً . ونحصر هذه التراكيب القليلة في مظاهرها البارزة كظاهرة التعبير عن الحدث بالتراكيب الفعلية المجردة مثل ما في قوله:

وقد أنسى الإساءة من حسودٍ ولا أنسى الصنوعة والفعالا
أعدتِ الراحةُ الكبرى لمن تعبنا وفاز بالحق من لم يأله طلبا

ونعتبر قلة تخير التركيب الفعلي لضرب الحكمة في الشوقيات أمراً طبيعياً إذ الفعل يصور حدثاً مقترناً بزمان ، بينما الحكمة حقيقة مجردة تتحدى الزمان . وحتى ما ورد من الحكم في تراكيب فعلية لم يقترن الفعل فيها بزمن معين بل دلَّ على الديمومة وإن تنوعت صيغته ممن الماضي إلى المضارع .

ومن ذلك ظاهرة الإعراب عن انطباع ما بتركيب إنشائية متنوعة ، كالأستفهام ويأتي به للإثبات عادةً :
أليس الحقُّ أنَّ العيشَ فان وأنَّ الحيَّ غايئُهُ المماتُ ؟
وللإنكار :

جربت نعمى الحادثات وبؤسها أعلمتِ حالاً آذنت بدوام ؟
وكالأمر والنهي يجيئان للوعظ :

واقروا آداب من قبلكم ربما علمَ حياً مَنْ غبرُ
فلا يُغرِّك سُكونُ الملا فالشرُّ حولُ الصارمِ المُغمَدِ

وإن كان الوعظ في الصدر مباشراً يمهد للحكمة الحقيقية في العجز

وكالتعجب يجيء للتنبيه :

ما أصعب الفعلَ لِمَنْ رامَهُ وأسهلَ القولَ على مَنْ أرادا

نضيف إلى هذا وذاك ظاهرة التعبير عن التكثير ، تكثير ما يُظن قليلاً عادةً لغاية التبصرة ، يتركيب تنصدها (رُبَّ)

أو (كَمْ) :

رُبَّ خَيْرٍ مُلئتَ منه سروراً ذكرَّ الخيرينَ فاهتجتَ حُزناً
وتقلدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً ولكمَّ نُعوشٍ في الرقابِ زياف

فالحكمة - من الناحية الفنية - تصاغ في الشوقيات في قوالب محكمة

الصنع مضبوطة الخصائص تسهّل تبيينها في مرسل الكلام وتفوض إليها أمر القيام بدور واضح الحدود" (١).

إنّ ما ذكره الطرابلسي من تراكيب لشعر الحكمة في الشوقيات كلامٌ جيدٌ وأعجبني في تحليله لاستخدام بعض التركيبات كقوله أن وفرة استخدام التركيب الشرطي ب(مَنْ) لتعلق الحكمة بالإنسان ، وتعليقه قلة استخدام التركيب الفعلي بسبب أن الأفعال تدل على الزمن بينما الحكمة لا زمن لها فهي تنتقل عبر الأزمنة وتساfer مع الأجيال مما يختلف مع تحديد الزمن في الأفعال الماضية والمضارعة (٢).

ومن خلال قراءتي لشعر الحكمة لشوقي وجدت فيها تراكيب لها أثرٌ في إبراز معاني الحكمة في الأبيات ، فقد استخدم شوقي حروف الجر كثيراً في أبياته الحكمية وبأنواعها يقول شوقي :

ومن العقول جداولٌ وجملامدٌ ومن النفوس حرائرٌ وإماءٌ (٣)

إنّ استخدام حرف الجر (مِنْ) والابتداء بها في كل شطر يعطي معنى التقسيم إضافةً إلى ما أضفته من موسيقى داخلية في البيت لها أثرٌ واضحٌ على النفس .

للمرء في الدنيا وجم شئونها ما شاء من ربح ومن خسران (٤)

نفس المعنى أجده في تكرار (مِنْ) وهو التقسيم مع الاختلاف هنا فتكرارها جاء في نفس الشطر فالنفس الموسيقي أقصر هنا منه في المثال السابق .

وقد يفهم هذا المعنى من دون تكرار ل(مِنْ) كقوله :

ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم هرمٌ غليظٌ مناكب الصُفاح (٥)

(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات - محمد الطرابلسي - ص ٣٣٣ وما بعدها - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦ .

(٢) نفسه ، انظر ص ٣٣٥

(٣) الشوقيات ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٤) الشوقيات ، ص ٨٥٣ .

(٥) نفسه، ص ٢٥١ .

* * *

ومن التراكيب المستخدمة في أبيات الحكمة التقديم والتأخير ل(الظرف)، فمثلاً الظرف (عند) في قوله :

ليس للذل حيلة في نفوس يستوي الموت عندها والبقاء^(١)

فلو رتبنا الجملة على الأصل لقلنا : (يستوي الموت والبقاء عندها) لكن التقديم هنا أعطى مزية لا تخفى على المستمع أو القارئ ، والمزية هنا هي في إظهار معنى عدم المبالاة بالحياة مع عدم الخوف من الموت لعظ م ه النفوس ، فلما جاءت (عند) مضافاً إليها (ها) الدالة على النفوس بين الموت والبقاء فكأنها مثلت نقطة التفكير للاختيار بين الموت والحياة ، وكان الابتداء ب(الموت) أعمق للمعنى لأن الأصل في النفس البشرية حب البقاء وكره الموت . وتظهر مزية التقديم والتأخير أيضاً في قول شوقي :

والحرب يبعثها القوي تجبراً^(٢) وينوء تحت بلائها الضعفاء^(٢)

و شوقي هنا يستخدم أسلوب التقديم والتأخير مع الظرف مرة أخرى ، وهذا يدل على اقتناعه بأهمية هذا النوع من التراكيب ومدى خدمته للحكمة التي يقولها . فلو أرجعنا التركيب الأصلي للجملة لقلنا : (وينوء الضعفاء تحت بلائها) ولكن المتمعن المتذوق ليجد في التركيب الذي استخدمه شوقي الحسن والفضل من تركيب الجملة على أصلها . وقد مدح عبدالقاهر الجرجاني مزية التقديم للظرف على غيره في الشعر فقال : (وإن أردت أظهر أمراً في هذا المعنى ، فانظره إلى قول إبراهيم بن العباس :

فلو إذ نبا الدهر، وأنكرَ صاحب وسلطَ أعداءُ ، وغابَ نصيرُ
تكون على الأهواز داري ولكن مقاديرُ جرتُ وأمورُ
وإنني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يُرجى أخُ ووزيرُ

فإنك ترى من الرونق والطلاوة ، ومن الحسن والحلاوة ، ثم تتفقد

(١) نفسه ، ص ١١٧ .

(٢) الشوقيات، ج ١، ص ٤٠ .

السبب في ذلك ، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو (إذ نبا) على عامله الذي هو (تكون)، ولم يقل : فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر ، ثم أن قال : (تكون) ولم يقل (كان) ، ثم أن نكر الـ دهر و لـ و يـ قـ ل : (فلو إذ نبا الدهر) ، ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد ، ثم أن قال : (وأنكر صاحب) ولم يقل : وأنكرت صاحباً ، لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدته لك تجعله حسناً في (النظم) ، وكله من معاني النحو كما ترى. وهكذا السبيل أبداً في كل حسنٍ ومزية رأيتهما قد نُسبا إلى (النظم) ، وفضلٍ وشرفٍ أحيل فيهما عليه (١).

* * *

٢- التشبيه :

إن أبيات الحكمة عند شوقي مليئةٌ بالتشبيه . ففي التشبيه يقول شوقي :

الحق أبلج كالصباح لناظر لو أن قوماً حكّموا الأحلاما^(٢)

الصورة التشبيهية واضحةٌ في البيت ، فالمشبه (الحق) والمشبه به (الصباح) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه :

الوضوح والإبانة في كل من الحق والصباح .

كذلك الأرض تبكي فقد عالمها كالأم تبكي ذهب النافع

المشبه هنا الأرض وحرزها على فقد العالم لتركه الحياة على الأرض بموته ، والمشبه به بكاء الأم حزناً على فقدتها الغالي لديها والنافع لها بعد الله وهو ابنها ، والجامع بينهما فقدان النفع.

وقال شوقي :

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تعليق : محمود محمد شاكر، ص ٨٦، مطبعة

المدني بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٤٣هـ .

(٢) الشوقيات ، ص ٨٣٤ .

(٣) السابق، ص ٨٢٤ .

إِنَّ لِلْإِقْدَامِ نَاسًا كَالْأَسَدِ فَتَشْبَهُ إِنَّ مَنْ يُقَدِّمُ يَسُدُّ^(١)

شبهه المُقدِّمين على فعل الأمور بالأسد عندما يُقدِّمُ على الفريسة بكل شجاعةٍ وبدون ترددٍ أو تراخي ، ووجه الشبه هو السرعة في كلِّ .
وأيضاً في قوله :

وَشَاقِي النَّفْسِ مِنْ نَزَعَاتٍ شَرٌّ كَشَافٍ مِنْ طَبَائِعِهَا الذَّنَابِ^(٢)

يشبه شوقي هنا من يريد شفاء النفوس من نزعات الشر فيها كمن يريد أن يشفي الذئب من طبعها وهو الغدر ، ووجه الشبه الاستحالة في كلِّ ، وهذا المعنى في طبع الذئب ذكرني بيتاً للفرزدق يقول فيه :

وَأَنْتِ أَمْرٌ يَا ذَنْبُ وَالْغَدْرُ أَخْيَيْنَ كَانَ أَرْضَعَا بِلْبَانِ^(٣)

فطالما عُرف الذئبُ بطبع الغدر ولا مجال لشفائه من هذا الطبع السيئ الدنيء ، كذلك يصعب على النفوس أن تشفى من نزعات الشر فيها .

فَقَفَّ عَلَى أَهْلِهِ وَاطْلَبَ جَوَاهِرَهُ كَنَاقِدٍ مَمْعَنٍ فِي كَفِّهِ الْآلِ^(٤)

يطلب شوقي هنا أن نطلب العلم من أهله وألاً نأخذ إلا أحسنه وأجمله ، وبعد تفحصٍ دقيقٍ جداً يشبه حالة خبيرٍ باللؤلؤ يتمعن فيه حتى يتبين الجيد منها من الرديء ، ووجه الشبه التأكد والاحتراز في كلِّ .

٣- الاستعارات:

إِنَّ لِلْمَوْتِ يَدًا إِنْ ضَرَبَتْ أَوْشَكَتْ ° تصدغُ شملَ الفرقدَيْنِ^(٥)

شبهه شوقي هنا الموت بالإنسان ، ثم حذف المشبه به الإنسان ورمز بشيءٍ من لوازمه (اليد) على سبيل الاستعارة المكنية، والجامع القوة في البطش .

(١) نفسه، ص ٣٣٧.

(٢) نفسه، ص ٢٠١.

(٣) ديوان الفرزدق، تقديم وشرح مجيد طراد، ج ٢، ص ٤٠٠، دار الكتاب العربي ١٤٢٥ هـ.

(٤) الشوقيات ، ص ٨٢٣ .

(٥) نفسه، ص ٨٥٧.

ورُبَّ امرئٍ لم تلده البلادُ نماها ونبَّه أنسأها^(١)

شبه شوقي في هذا البيت البلاد بالمرأة ، ثم حذف المشبه به المرأة ورمز بشيءٍ من لوازمه (الولادة) ، على سبيل الاستعارة المكنية ، والجامع الانتماء والضم .

ومن° تضحك الدنيا إليه فيغترر يمت كقتيل الجيد بالبسمات^(٢)

شبه مباحج الدنيا هنا بالضحك ، واستعار من (الضحك) الفعل المضارع (تضحك) على سبيل الاستعارة التصريحية ، والجامع الإبهار والخداع .

دقات قلب المرءِ قائلةٌ له: إن الحياة دقائقٌ وثواني^(٣)

شبه دقات القلب بالقول عند الإنسان ، ثم استعار من القول اسم الفاعل (قائلة) على سبيل الاستعارة التصريحية ، والجامع الحركة والصوت .

* * *

٤- الجناس :

لقد وجدت الجناس في شعر الحكمة لدى شوقي بنوعيه: التام والناقص ، فمن أمثلة التام :

واعصٍ في أكثر ما تأتي كم مطيعٍ لهوى النفس هوى^(٤)

(هوى) الأولى معناها : ما تهواه النفس ، و (هوى) الثانية معناها : فعل ماضي بمعنى : سَقَطَ .

عظيم الناس مَنْ يبكي العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما^(٥)

(العظاما) بمعنى : العظماء ، و(عظاما) بمعنى : العظام على

(١) الشوقيات، ج٢، ص ١٨٦ .

(٢) نفسه، ص ١٠٠ .

(٣) الشوقيات ، ص ٨٥٣ .

(٤) نفسه ، ص ٣٣٩ .

(٥) نفسه، ص ١٤٤ .

حقيقتها ، والمراد هنا الأموات الذين كانوا عظماء في حياتهم .

ومن أمثلة الجناس الناقص :

فيا رُبَّ وجهٍ كصافي النمير تشابه حاملهُ والنمر^(١)

والكلمتان فيهما جناسٌ ناقصٌ ، بسبب الاختلاف في عدد الحروف
فحرف الياء موجودٌ في الأولى ، وغير موجودٌ في الثانية .

ومن أيضاً قوله :

الدين للديان جلَّ جلالهُ لو شاء ربك وحدَّ الأقواما^(٢)

(الدين) الحُكْمُ ، و(الديان) قال فيها ابن منظور : (الديانُ : من
أسماء الله عز وجل ، معناه الحُكْمُ القاضي ، وسُئِلَ بعض السلف عن
علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : كان دِيَّانُ هذه الأمة بعد نبيها ،
أي قاضيها وحاكمها . والديانُ : القهارُ) .^(٣)

وكلمتي (دين) و (ديان) فيهما جناسٌ ناقصٌ ، فكلمة (ديان) فيها
زيادة حرفين هما : الياء الثانية ، والألف .

ولا يخف ما في الجناس من جمالٍ لفظي ؛ يجعل تركيب الكلام
يظهر بصورةٍ جميلةٍ .

٥- الطباق :

وهو موجود بصورةٍ واضحةٍ في شعر الحكمة في الشوقيات فمنه
قوله :

واقروا آداب مَنْ قبلكمُ ربما علمَ حَيًّا مَنْ غَبِرَ^(٤)

هنا يظهر التضاد في المعنى بين المفردتين : (حَيًّا و مَنْ غَبِرَ)
فالتضاد هنا هو بين الحياة والموت .

(١) السابق، ص ٤٣٦ .

(٢) نفسه، ص ٨٣٥ .

(٣) لسان العرب، ج ١، ص ١٠٤٣ .

(٤) الشوقيات، ص ٤٠٣ .

ويتكرر الطباق في نفس هذا المعنى في قوله :

النفسُ حربُ الموتِ ، إلا أنها أنتِ الحياةُ وشغلها من بابهِ^(١)
ومن أمثله قوله :

كأسٌ من الدنيا تُدارُ مَنْ ذاقها خلع العذارُ
الليلُ قوامٌ بها فإذا ونى قام النهارُ
وحبابها الأعمار لم تدم الطوال ولا القصارُ
شربَ الصبيِّ بها ولم يخلُ المعمرُ من خمارُ
كأس المنيّة في يدِ عسراءَ، ما منها فرارُ
تجري اليمين فمن تولّ ي يسرةً جرت اليسارُ^(٢)

المقابلات هنا واضحة في المفردات التالية: (الليل - النهار) و (الطوال - القصار) و (الصبي - المعمر) و (اليمين - اليسار) .
ومنه قوله :-

الأرض أليق منزلاً بجماعةٍ يبغون أسباب السماء قعوداً^(٣)

الطباق في (الأرض - السماء)
و قوله :-

عسى الأيام تجمعني فإني أرى العيش افتراقاً واجتماعاً^(٤)
الطباق في (اجتماع - افتراق) .

ومن أمثلة النوع الثاني للمقابلة وهو المركب قوله :

الأماني حلمٌ من يقظةٍ والمنايا يقظةٌ من حلمٍ^(٥)

أجد الطباق هنا أقامه شوقي بين (الأماني - المنايا) و (حلمٌ -

(١) نفسه ، ص ٧٢٥ .

(٢) نفسه ، ص ٧٧٧ .

(٣) نفسه ، ص ٢٥٧ .

(٤) نفسه، ص ١٠٦٣ .

(٥) نفسه، ص ١٦١ .

يقظ (يقظة - حلم) ، فهي جاءت مركبة إذا كانت في رأيه عن الأمانى وحققتها ، مقابل رأيه في المنايا وحققتها .

* * *

٦- المقابلة :

كم صعب اليوم من سهل هممت وسهل الغد في الأشياء ما
 هنا مقابلة مركبة بين صعوبة بعض الأمور اليوم ؛ وبين سهولتها بالغد .

* * *

٧- الصورة الحركية :

واقصد بها أن نجد في البيت صورة متحركة نستخلص منها الحكمة المرادة من البيت ومن ذلك قوله :
 وإذا نظرت إلى الحياة وجدتها
عُرْسًا أُقِيمَ عَلَى جَوَانِبِ مَاتَمٍ
 (٢)

يحدثنا شوقي هنا عن صورة الحياة وما فيها من زينة وأفراح ومن حزن وأتراح . فالعرس وما فيه من سرور وإعلان حية جديدة بتكوين أسرة عن طريق الزواج ، والغناء والرقص ابتهاجاً ، يجاوره ماتم يضم بداخله البكاء والعيول ، والإعلان عن نهاية حياة .
 ومن الصور الحركية قوله :

ويقال للأرض الفضاء تمخّصي فتردُ شيخاً أو تمجُ جنينا^(٣)

تظهر الصورة الحركية بقوة في المفردتين (تمخّصي) و(تمجُ) ، وهي صورة استعارية جميلة من حيث تشبيه الأرض بالمرأة الحامل عند وضع حملها وهي مرحلة (المخاض) ، وكما هو معلوم ما يصاحبها من حركة لخروج هذا الطفل من بطن أمه ، كذلك الأرض

(١) نفسه ، ص ٢٣٩ .

(٢) السابق، ص ٣٠٢ .

(٣) نفسه، ص ٨٥١ .

تُخرج ما في بطنها من أموات . ونفس الصورة تتكرر في البيت ولكن بلفظةٍ أخرى وهي (تمجُّ) وإن كانت تستخدم عادةً في مجِّ الماء من الفم أي : إخراجها من الفم بسرعة ، فلو تصورنا حركة الفم في إخراج الماء ، وقبلها حركة بطن المرأة الحامل ، وتشبيه ذلك بحركة الأرض يوم القيامة وخروج الناس من باطنها بسرعة ، وقد وردت صورة حركة الأرض في القرآن الكريم في قوله تعالى : (تَجَّ جَجْ جَجْ جَجْ) (١) . وكذلك صورة الخروج من القبور في قوله تعالى : (قَفَّ قَفَّ قَفَّ قَفَّ) (٢) .

ومن أمثلة الصورة الحركية قوله :

تَرَعَشُ الأَيْدِي وَمَنْ يَرُ عَش مِنْ الصُّنَاعِ خَاباً (٣)

الحركة هنا في رعشة اليد وهو اهتزازها بسرعةٍ وهي حالةٌ تنتج عن الكبر أو الضعف أو الخوف .

* * *

٨- الصورة السمعية :

وهي خلاف للكلام السابق ؛ لأنَّ السابق خاصٌ بالصورة البصريَّة ؛ أما هذا فخاصٌ بالصورة السمعيَّة . فكما أنَّ بعض شعر الحكمة أعطانا صوراً حركيَّةً بصريَّةً ؛ كذلك فإنَّ بعضه أعطانا صوراً حركيَّةً سمعيَّةً ، فمن ذلك قوله :

صاحَتْ به الأَجَامُ : هُنَّتْ ، فلم يَنَمْ أعلى الهوان يُنامُ في الأجام . (٤)

فالصياحُ كما معلومٌ رفع الصوت بأقصى ما يستطيعه الصائح ، وما في ذلك من أثرٍ على المستمع .

ومنه قوله :

كيف يهزأ بخالق الطير مَنْ لَمْ يعلمَ الطيرَ هل بكى أو تغنَّى ؟

الصورة السمعية هنا : في صوت الطير المغرِّدِ ، وقد جعله شوقي

(١) القرآن الكريم ، سورة الزلزلة ، آية ٢، ١ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة المعارج ، آية ٤٣ .

(٣) الشوقيات ، ص ٣٤٦ .

(٤) السابق ، ص ٤٥٠ .

أحد أمرين : إما صوتٌ يُحزن ؛ وإما صوتٌ يُفرح .

* * *

٩- الاعتراضات :

وذلك أن يذكر شوقي الحكمة في البيت ويتخلل ذلك كلامٌ اعترضني منه يُعتبر تأكيداً لمعنى الحكمة في البيت ، ومن ذلك قوله :

إنما الأسوة - وللدنيا أسي - سبب العمران نظم العالمين^(١)

وقوله:

يُنبيك مصرعهُ- وكلُّ زائلٍ- أنَّ الحياة كغدوةٍ ورواحٍ^(٢)

وقوله:

ومِن المروءة - وهي حائطٌ أنْ نذكر الإصلاح والإحسانا^(٣)

إنَّ الاعتراضات في الأمثلة السابقة مؤيدةٌ للمعنى الذي يسبقها ، وهذا مما يعضد المعنى الحكمي في الأبيات وهو يدل على حسن اختيار موضع الاعتراض من البيت .

* * *

١٠- الكناية :

ومن أمثلتها في شعر الحكمة في الشوقيات قوله:

إذا رَشَدَ المعلمُ كان موسى وإنْ هو ضلَّ كان السامرياً^(٤)

الكناية هنا في كلمتي (موسى) و (سامري) فكون المعلم يكون إنْ رَشَدَ موسى هي كنايةٌ عن الهداية لغيره والمراد كهداية (موسى) النبي

(١) نفسه ، ص ٨٦٦ .

(٢) نفسه، ص ٥١٨ .

(٣) السابق، ص ٤٦٣ .

(٤) نفسه، ص ٨٨٣ .

عليه السلام ، وإن ضلَّ كان مثل (السامريّ) المذكور في القرآن الكريم ؛ وهي كنايةٌ عن الضلال ، فالسامريّ هو الذي أضلَّ قومه واتبعه بعضهم لمل جعل لهم العجل إليها عبوده من دون الله .

ومثالها أيضاً في قوله :

ومَنْ صابِرَ الدهر صبري له شكا في الثلاثين شكوى لبيد^(١)

هذه الكناية فيها إشارةٌ إلى بيتٍ للشاعر (لبيد بن أبي ربيعة) ويقول فيه :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال الناس كيف لبيد؟^(٢)

* * *

١١ - العكس :

والمراد أن يعكس شوقي في العجز ما كان في الصدر وقد قسمه محمد الطرابلسي إلى نوعين : نوعٌ يكون العكس فيه للتركيب ؛ ونوعٌ يكون العكس فيه للترتيب واستشهد للنوع الأول بشواهد منها قوله :

دانَ أبأؤنا الزمان ملياً ملياً لحادث الدهر دنيّاً^(٣)

فقد بدأ شوقي البيت بالفعل دانَ ، وأنهى الصدر بملياً، وبدأ العجز بملياً ، وأنهاه دنيّاً .

واستشهد لعكس الترتيب من أبيات الحكمة قول شوقي :

وكيف أتى الغنيُّ له فقيراً وكيف ثوى الفقير به غنيّاً^(٤)

١٢ - التناظر:

ويقول الطرابلسي : « أما التناظر فهو أسلوب التعبير عن الارتباط بين شيئين ، ولذلك إن قامت أواخر عناصره على عكس أوائلها فللدلالة

(١) نفسه ، صفحة ٥٣٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ج١٠ ، ص ٢٣٣ .

(٣) الشوقيات، ص٤٥٨ .

(٤) نفسه ، ص ٨٨٥ .

اعتبار ما سيكون .

* * *

١٤ - المفردات :

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن شوقي كان خبيراً باللغة العربية، عالماً بخفاياها ولطائفها البلاغية وبتراكيبها المتنوعة ، ولذا سأختم كلامي في هذا المبحث باستخدام المفردات في شعر الحكمة ، لأن المفردة لها أثرٌ على مبنى الكلام وعلى معناه كذلك ، وحسن اختيار المفردات لما يتناسب مع معنى الحكمة هو بلا شك يقوي المعنى الحكمي ، ويثبت مقدرة الشاعر على الأخذ من نهر اللغة العذب ، ويتبين الفرق حينئذٍ بين شاعرٍ وآخر ؛ فمنهم من يغرف بالدلاء ؛ ومنهم من يغرف بكفه ؛ ومنهم من يتذوق بإصبعه ؛ ومنهم من ينظر فقط . ولأن شوقي من شعراء العصر الحديث الذين حملوا همَّ الحفاظ على اللغة العربية ، كان من سبل الحفاظ عليها عنده تناوله المفردات اللغوية في شعر الحكمة عنده بصورٍ تخدم ما يريد إيصاله للقارئ وللمستمع ، وسأختار مفردة (الموت) وكيف تناولها شوقي في شعر الحكمة في شوقياته ، وسبب اختياري لهذه المفردة : أنني لاحظت لشوقي نبذة شعرية خاصة عندما يتحدث عن الموت في شعره .

وسأنتبع هذه المفردة في شعر الحكمة عنده ، سواءً أكان ذكرها صريحاً أو كان هناك ما يدل عليه ، سواءً مفردةً أخرى ؛ أو تركيباً يدل على معنى الموت والفناء .

فتارةً وجدت شوقي يصرح بلفظ الموت ، ولكن اختلفت صور هذا التصريح ؛ فمرةً تكون بالاسم (موت ، منية) مفردتين ، وأحياناً بأسلوب الجمع (منايا) فمثال الأفراد قوله:

حصنوا ما شئتم موتاكم !
 هل وراء الموت من حصن حصين
 ولم أر حكماً كالمقادير نافذاً
 ولا كلقاء الموت من بينها^(١)
^(٢)

وقوله :

(١) المصدر السابق، ص ٨٦٥ .

(٢) نفسه، ص ٨٣٧ .

شرُّ عيش الرجال ما كان حُلماً
 فارتفع لنفسك بعد موتك ذكرها
 إن الغرور إذا تملك أمةً
 وما العيش إلا الجسم في ظل
 إن للموت يداً إن ضربتُ
 يا أبي والموت كأسٌ مرةٌ
 هيهات من سفر المنية أوبةٌ
 ولكن متى رقق قلب القضاء؟
 نشدتك بالمنية وهي حقٌ
 اذكر الموت ولا تفزع فمن
 قد تُسيغُ المنية الأحلام^(١)
 فالذكر للإنسان عمرٌ ثاني^(٢)
 كالزهر يُخفي الموت وهو
 ولا الموت إلا الروح فارقت
 أو شكت تصدع شمل الفرقتين^(٣)^(٤)^(٥)
 لا تذوق النفس منها مرتين^(٦)
 حتى يهب الصبح بالسارينا^(٧)
 ومن أين للموت عقلٌ يزن؟^(٨)
 ألم يكُ زخرف الدنيا فرجاً؟^(٩)
 يحقر الموت ينل رقق الزمن^(١٠)

وجاءت (منية) على صيغة الجمع كقوله :

وبعض المنايا همة من ورائها
 وبعض المنايا تُنزلُ الشهد في
 حياة لأقوامٍ ودنيا لأجيال^(١١)
 ويحططن في الترب الجبال^(١٢)

* * *

وجاء الفعل الماضي منها كقوله :

- (١) نفسه ، ص ٤٤٤ .
- (٢) نفسه ، ص ٨٥٣ .
- (٣) نفسه ، ص ٢٩٨ .
- (٤) السابق، ص ٨٣٧ .
- (٥) نفسه، ص ٨٥٧ .
- (٦) نفسه، ص ٨٥٨ .
- (٧) نفسه، ص ٨٥١ .
- (٨) نفسه، ص ٨٥٩ .
- (٩) نفسه، ص ٨٨٤ .
- (١٠) نفسه، ص ٣٣٩ .
- (١١) نفسه، ص ٢٥ .
- (١٢) نفسه، ص ٨٧٩ .

ما مات من حاز الثرى آثاره
وقد متنا ثباتاً واستماتوا
دعي المواعيد إني ميتٌ من ظمأً
وجاء الفعل المضارع كقوله :

واستولت الدنيا على آدابه^(١)
وما البسلاء كالمستبسلينا^(٢)
وللمواعيد ماءً لا يبيلُ صدى^(٣)
كل حيٍّ ما خلا الله يموتُ
مَنْ سرَّه ألاَّ يموتُ فبالعلا

وجاء منها اسم الفاعل كقوله :

ويغول الربع ما غال القطين^(٦)
إن المنية غاية الإنسان^(٧)
وأخرون ببطن الأرض
يُمحي الميِّت ويبلى رمسه
هوّن عليك فلا شمات بميِّتٍ
والناس صنفان موتي في

ثم وجدته يستخدم مفرداتٍ وجملًا تدل على الموت والفاء غير مفردة (الموت) و(المنية) ، ولكنها سارت على نفس المعنى الدلالي للموت فمن ذلك قوله :

عاش خلقٌ ومضوا ما نقصوا
وكل بساط عيشٍ سوف يُطوى
كل يومٍ خبرٌ عن حدثٍ
رفعـة الأرض ولا زادوا
وإن طال الزمانُ به وطابا^(٩)
سئم العيش ومن يسأم يذر^(١١)

(١) السابق، ص ٧٢٥ .

(٢) نفسه، ص ١٨١ .

(٣) نفسه، ٦٤٢ .

(٤) نفسه، ٣٣٨ .

(٥) نفسه، ص ٧٢٥ .

(٦) نفسه، ص ٨٦٥ .

(٧) نفسه، ص ٨٥٤ .

(٨) نفسه، ص ٧٠٣ .

(٩) السابق، ص ٤٩٥ .

(١٠) نفسه، ص ١٩٩ .

(١١) نفسه، ص ٤٠٠ .

ولكن° إن حان حين الفتى
قد أقاموا قدوةً سالحةً
هياكل تفنى والبيان مخلدٌ
ومن يُفجع بحر عبقرى
عاش لم ترمه بعينٍ وأودى
نبيد كما بادت قبائل قبلنا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من
قضى ويعيش إذا لم يحن° (١)
ومضوا أمثلةً للمحتزين (٢)
ألا إن عتق الخمر يُنسى
يُجد ظلم المنيّة عبقرى (٣)
هملاً لم تهب لنا فيه أذنا (٤)
ويبقى الأنام اثنين ميتا
هم الحياة وخلفاه ذليلاً (٥)
فإن يجدوا للنفس بالعود راحةً
فقد يشتهي الموت المريض (٦)
ولم يقتصر شوقي حب الموت على المريض الذي يتألم من مرضه ،
بل جعلها قاعدةً عامةً ، فجعل أقصى مراتب الراحة فيه ، كقوله:
أرحت بالك من دنيا بلا خلق
ليس في الموت أقصى راحة (٧)
وقد تجلت فلسفته عن الموت في رثائه لأبيه ، وبالنظر إلى ما سبق ؛

فيما سبق مفردات أفادت معنى الموت والفناء وهي :

(مضوا - يمضي - يُطوى - خبر - حين - مضوا - تفنى يفجع -
أودى - بادت° - انتهى) ، وأرى فيما سبق ذكره أن شوقي له فلسفة
خاصة في الحديث عن الموت ، فهو يتحدث عن الموت كلام المؤمن
المسلم لله أمره ، لكن الملفت لي جعل الإنسان يبحث عن الموت لأنه
وسيلة للتخلص من الشقاء ومن الألم كقوله :

فإن يجدوا للنفس بالعود راحةً
فقد يشتهي الموت المريض (٨)

ولم يقتصر شوقي حب الموت على المريض الذي يتألم من مرضه ،
بل جعلها قاعدةً عامةً ، فجعل أقصى مراتب الراحة فيه ، كقوله:

أرحت بالك من دنيا بلا خلق
ليس في الموت أقصى راحة (٩)

وقد تجلت فلسفته عن الموت في رثائه لأبيه ، وبالنظر إلى ما سبق ؛

- (١) نفسه، ص ٨٦٠ .
- (٢) نفسه، ص ٨٦٦ .
- (٣) نفسه، ص ٨٨٠ .
- (٤) نفسه، ص ٨٨٤ .
- (٥) نفسه، ص ٤٥٨ .
- (٦) نفسه، ص ٣١٤ .
- (٧) نفسه ، ص ٤٢١ .
- (٨) السابق، ص ١٣٦ .
- (٩) نفسه، ص ٨٢٣ .

أجد أن شوقي كان يمثل في حديثه عن الموت الصراع البشري مع الموت من أجل البقاء ، إلا أن غلبة الموت هي التي كان لها الغلبة في النهاية في أبيات شوقي ، تماشياً مع السنة الإلهية في هذه الحياة .

* * *

وهناك مفردات وردت في شعر الحكم في الشوقيات تحتاج لبيان معناها المعجمي فمثلاً قوله :

إذا جفا الحق أرضاً هان كأنها غابة من غير رئبال^(١)

فكلمة (رئبال) معناها: أسد قال الجوهري : (والرئبال الأسد، وهو مهموزٌ ، والجمع الرأبيل. وفلانٌ يترأبل ، أي : يغير على الناس و يفعل فعل الأسد)^(٢) .

ومنها قوله :

لجج الدماء أوطان لكم ومن الأوطان دور وحفر^(٣)

فكلمة (الدماء) تعني : البحر .

ومنها قوله :

المستبد يطاق في ناوسه لا تحت تاجيه وفوف وثابه^(٤)

كلمة (ناوس) معناها : مقبرة النصارى خاصة .

(١) المصدر السابق، ص ٨٢٢ .

(٢) الصحاح، ج ٤، ص ٥١٦ .

(٣) الشوقيات ، ص ٧٨٥ .

(٤) نفسه، ص ٧٢٧ .

المبحث الثاني

الإيقاع

سيكون حديثي إن شاء الله تعالى في هذا المبحث عن أمرين: الإيقاع الداخلي (الموسيقي) ، وأقصد به الموسيقى الموجودة داخل الأبيات . والإيقاع العام (العروضي) ، وأقصد به الأوزان والقوافي .

إن حسن استخدام الشاعر لبعض المفردات يساهم في إيجاد موسيقى داخل البيت تُعلي من قيمة المعنى . وقد وجدت شوقي يهتم بالإيقاع الموسيقي كاهتمامه بالإيقاع العروضي ولكن قبل الحديث عن هذا الأمر عند شوقي ، سأحدث عن مفهوم الإيقاع .

مفهوم الإيقاع :

يقول الدكتور منير سلطان : « نشأ مصطلح الإيقاع مرتبطاً بالموسيقى وعلم موسيقى الغناء، ثم بدأ يتمدد ، فتحرك إلى دائرة اللغة ، فظهر في عروض الشعر والوزن الصرفي والجرس اللفظي ووصل إلى الفن بأشكاله المختلفة ، الرسم والنحت والتصوير والمعمار والتعبير الحركي (الرقص) كما احتوى الظواهر الطبيعية الشمس والقمر والفصول الأربعة ، وتغلغل إلى أجهزة الإنسان الداخلية من الدورة الدموية إلى التنفس إلى دقات القلب إلى اليقظة والنوم إلى موت الخلايا وميلادها ، إلى الحالة النفسية إلى طرق الحياة بأسرها وتحول عدم الاستجابة لإيقاع الحياة جسداً أو روحاً دليل على المرض كله إيقاع ، إيقاع موسيقي ، وإيقاع لغوي، وإيقاع فني، وإيقاع بيولوجي ، وإيقاع نفسي، وإيقاع ظواهر طبيعية، وإيقاع حياة »⁽¹⁾ .

وقال « إن بين الإيقاع الموسيقي والإيقاع العروضي صلة نسب ، فكما أن للموسيقى نوتة موسيقية تدون فيها الجمل الموسيقية في طولها ودرجاتها وطول المسافات فيما بينهما ، كذلك يُعد علم العروض : النوتة التفعيلية لتقطيع الشعر حسب التفعيلات المخصصة للبحر العروضي . ومثلما تشبه النوتة الموسيقية الخريطة الجامدة التي لا معنى لها إلا بالعزف، حيث يتحقق الإيقاع النغمي ، كذلك النوتة التفعيلية

(1) الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغنائي ، منير سلطان ، منشأة المعارف بالإسكندرية ،

خريطة جامدة لا معنى لها إلاّ بالنظم وبالإنشاد ، وهنا يتحقق الإيقاع الصوتي»^(١) .

وليتضح الكلام في مصطلح الإيقاع سأذكر كلام بعض علماء النقد والبلاغة من القدماء ومن المحدثين فيه يتضح من خلاله اهتمامهم بالإيقاع لأهميته في الوزن ، ولدلالته على المعنى ، ولارتباطه بحالة الشاعر النفسية .

بعض أقوال القدماء في الإيقاع :

قال الفارابي في تعريفه للإيقاع بأنه : « نقلة منتظمة على النغم ذوات فواصل ، والفاصلة هي توقف يواجه امتداد الصوت، والوزن الشعري نقلة منتظمة على الحروف ذوات فواصل ، والواصل إنما تحدث بوقفات تامة ، ولا يكون ذلك إلا بحروف ساكنة»^(٢) .

إن الفارابي في التعريف الآنف الذكر يعتمد على النغم الذي تحدثه الفواصل ، بينما وجدت ابن سينا يعتمد على النقرات المنتظمة لإيجاد الإيقاع فيقول أن الإيقاع : « تقدير لزمان النقرات فإن اتفق أن كانت النقرات منتظمة كان الإيقاع لحنياً ، وإن اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها الكلام كان الإيقاع شعرياً وهو بنفسه إيقاع مطلقاً»^(٣) . فابن سينا يستبدل مصطلح الفواصل عند الفارابي بالنقرات التي تحدثها الفواصل ويجعل فرقاً بين النقرة اللحنية والنقرة الشعرية . بينما كلا التعريفين السابقين يفصل بين الإيقاع الشعري والإيقاع الموسيقي . بينما يقول ابن فارس : « وأهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع ، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان

(١) المصدر السابق، ص ١٢١ .

(٢) الموسيقى الكبير، الفارابي، تحقيق / غطاس خشبة، در الكتاب العربي، ص

١٠٨٥، ١٠٨٦. (نقلاً عن البنية الإيقاعية في شعر شوقي لمحمود عسران، ص ٢٤)

(٣) الشفاء- الرياضيات-٣-جوامع علم الموسيقى، ابن سينا، تحقيق/ زكريا يوسف، نشر

وزارة التربية ، القاهرة، ص ٨١. (نقلاً عن البنية الإيقاعية في شعر شوقي، ص ٢٢)

بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة^(١) فهو لا يفرق بين الإيقاع الشعري والموسيقي ، وكذلك قال الجاحظ : (إن كتاب العروض من كتاب الموسيقى)^(٢) ، وابن طباطبأ يقول عن الإيقاع الشعري : « وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ، وما يرد عليه من حسن تركيبه ، واعتدال اجزائه »^(٣) .

مما سبق أجد أن النقاد القدماء لم يتفقوا على مصطلح معين للإيقاع . وأرى أن سبب ذلك في كون أن الأوزان الشعرية للبحور في نفس الوقت هي فواصل وكذلك هي نغمات ، ومن الشعر الحداء ، وقد تغنى بالشعر كثيرون ، فقرب إيقاع الشعر من إيقاع الموسيقى أوقع القدماء في الاختلاف فمنهم من أراد الفصل بينهما، ومنهم من خلط بينهما وجعلهما شيئاً واحداً .

- بعض أقوال النقاد المحدثين في الإيقاع:

إن اختلاف كلام النقاد القدماء في فصلهم بين الإيقاع الشعري والإيقاع الموسيقي أو في الخلط بينهما لم ينته في وقتهم ، بل انتقل هذا الحديث عن الإيقاع إلى زماننا وقام النقاد المحدثون لتحديد المصطلح ، يقول الدكتور محمود عسران - والذي أفدت منه كثيراً في الحديث عن هذا الموضوع : « ومع اتساع الحركة المعرفية وتشعب مجالات العمل النقدي دفع الباحثون والنقاد إلى ضرورة وضع أساس قارة لكل مصطلح ...، ومن هنا كانت المحاولات المتتالية لفهم الإيقاع وتأطير أبعاده حتى يتسنى لناولوج على عوالم القصيد العربي المتشعبة لذا وجدنا سعياً حثيثاً لفهم أبعاد الإيقاع ومجالي أبنيته ، فكانت القفزة الأولى مع محاولة الدكتور محمد مندور الذي جعل الإيقاع الشعري أحد أساسين يقوم عليهما الفن الأدبي هما الإيقاع والكم والأول منهما « موجود في النثر والشعر ، لأنه يتولد عن رجوع ظاهرة صوتية أو ترددها على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة أو متقابلة » أما الثاني فإن بينه وبين الأول

(١) الصاحبى، ص ٢٦٦ .

(٢) ثلاث رسائل للجاحظ ، رسالة الفيان ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٩١٠ ، ص ٢٣٠ .

(٣) عيار الشعر، ابن طباطبأ، تحقيق الحاجري وسلام، المكتبة التجارية، القاهرة، ص ١٧ .

اختلافاً بيناً إذ لا يوجد إلا في الشعر محددًا « بكم التفاعيل التي يستغرق نطقها زماناً ما وهو الوزن » ومن هنا ينشأ التمايز ، من وجهة نظره بين الشعر والنثر لأنه في « النثر تتطابق الوحدات الإيقاعية مع الوحدات اللغوية ، وأما الشعر فضرورة المساواة بين الوحدات الإيقاعية كثيراً ما تقتضي بأن تنتهي في وسط اللفظ دون أن تكتمل الجملة » (١) .

ثم ينتقد الدكتور محمود دراسة مندور ويصفها بغبي الواضحة وأن تحديد الكم أمر غير دقيق وأتى بأسماء لنقاد شاركوا الدكتور محمد مندور في الحديث عن الإيقاع منهم الدكتور محمد النويهي ، والدكتور شكري عياد ، والدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول في الإيقاع في إنشاد الشعر : « ليس إلا زيادة في ضغط المقطع المنبور من كلمات الشطر » . فهد يعتمد على النبر وهو ما دهي إليه النويهي من حيث اعتماد النبر أساساً إيقاعياً للشعر واتفق معهما الدكتور شكري عياد إذ يقول : « فالشعر العربي لا يخلو من النبر، وأن جاز أن يعتمد في إيقاعه على التناسب الزمني بين المقاطع التي تكون مجموعة واحدة أكثر من اعتماده على النبر » بتصريف (٢) .

مما سبق ذكره من مصطلحات للإيقاع لقدماء ومحدثين ، كان همهم إيجاد مصطلح يتفق عليه الجميع من خلال رؤاهم المختلفة ، وبما أنه لا مشاحة في الاصطلاح ؛ فكل ما ذكرته من أقوال لقدماء أو محدثين لا ينفي أهمية الإيقاع في بناء البيت الشعري وفي أثره على المتلقي ، وهذا ما أدركه شوقي ، فعمل على أن يكون للإيقاع دور مهم في قصائده ، وهذا ما سأقوم بدراسته من خلال نماذج لأبيات الحكمة ، لأبين مدى خدمة الإيقاع الداخلي (الموسيقي) والإيقاع العام (العروضي) للحكمة في شعره .

أولاً : الإيقاع الداخلي

هناك عدة أمور تساعد على إيجاد الموسيقى الداخلية داخل الأبيات الشعرية ، وبما أن الدراسة تقتصر على شعر الحكمة عند شوقي فقد وجدت لبعض أبيات الحكمة عنده إيقاعاً داخلياً ، فمثلاً اعتمد شوقي على :

(١) البنية الإيقاعية في شعر شوقي، محمود عسران، مكتبة بستان المعرفة، ٢٠٠٦، ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠ ، ٣١ .

- التكرار:

والتكرار استخدمه شوقي على صورتين :

- تكرار في العجز لكلمة في صدر البيت ، وهو من قبيل رد العجز على الصدر .

- تكرار كلمة في نفس الشطر .

فمثال الصورة الأولى قوله :

والرأي لم ينض المهند دونه كالسيف لم تضرب به الآراء^(١)

فكلمة (رأي) بدأ بها البيت وختم بكلمة قريبة منها وهي (الآراء) وهذا من قبيل الجناس الناقص ، وهو من رد العجز على الصدر .

وقوله :

نموا إليه فزادوا في الوري^(٢) وربّ أصلٍ لفرع الفخار^(٢)

هنا رد العجز على الصدر في كلمتي (نموا) و (نمي) .

وقد تكون الكلمة ليست في بداية الصدر كقوله:

أرحت بالك من دنيا بلا خلق^(٣) أليس في الموت أقصى راحة البال^(٣)

فكلمة (بالك) وقعت ثانيةً من حيث الترتيب في الصدر ، ثم ختم شوقي بـ (البال) العجز .

وقوله :

هل كلام العباد في الشمس إلا^(٤) أنها الشمس ليس فيها كلام^(٤)

أيضاً وقعت كلمة (كلام) ثانيةً في الصدر وختم بها شوقي العجز .

وقد يكرر شوقي الكلمة في العجز ولكن لا يختم بها ، كقوله :

(١) الشوقيات، ص ١٩١ .

(٢) السابق ، ص ٢١٢ .

(٣) نفسه ، ص ٨٢٣ .

(٤) نفسه ، ص ٤٤٢ .

دقات قلب المرء قائلةً له إن الحياة دقائقٌ وثوانٌ^(١)
بدأ شوقي الصدر بـ(دقات) ثم كررها في العجز قبل نهايته بـ(دقائق)

وقد تكون الكلمة خاتمة للصدر وللعجز في نفس الوقت كقوله :
عظيم الناس من يبكي العظاما ويندبهم ولو كانوا عظاما^(٢)

هنا تكررت (عظاما) في آخر الصدر وفي آخر العجز ، وهذه
الطريقة التي اتبعها شوقي باختلاف صورها السابقة تربط بين الصدر
والعجز في المعنى، وتساعد على إبقاء الفكرة في ذهن المتلقي .

أما الصورة الثانية، وهي تكرار الكلمة في نفس الشطر؛ وهي في
نظري أكثر إيقاعاً من الصورة السابقة لأنها توجد الجرس الموسيقي
في البيت بفعل تقارب الألفاظ ، وأحياناً : توجد في البيت نوعاً من
القطيعات الموسيقية ومن ذلك فقوله :

- فكبيرٌ / ألاَّ يُصان كبيرٌ /

وعظيمٌ / أنْ ينبذ العظامُ /^(٣)

إن الفكرة واضحة في هذا البيت والمعنى قواه التكرار ؛ الذي أوجد
تقطيعاً موسيقياً واضحاً .

وقوله :

- وحدّثْ ° / فقدُ / يُهتدى بالحديثْ

(١) السابق، ص ٨٥٣ .

(٢) نفسه، ص ٤٣٦ .

(٣) نفسه ، ص ١١٣ .

وخبّرُ / فقدُ / يُؤتسى بالخبر^(١)

أيضاً هنا تقوية المعنى بالتكرار الذي أوضح الفكرة ، وأوجد هذا الإيقاع الموسيقي داخل البيت .

وقوله :

- ومن عبث العشق/ بالعاشقين^٥

حنين القتيل / إلى القاتل^(٢)

كرر كلمة (عشق) بأسلوب اسم الفاعل (العاشقين) وظهر الإيقاع هنا في العجز بكلمة(قتيل) وتلاها اسم الفاعل (قاتل) .

وقد يستخدم شوقي تكرار الفعل فيكون التقسيم الإيقاعي حاضراً في البيت كقوله :

- والجهل موتٌ فإن أوتيت معجزةً

فابعتُ من الجهل/ أو فابعتُ من الرجم^(٣)

وقد يكرر الاسم كقوله :

- كم في التراب إذا فتشت عن رجلٍ

مَنْ مات بالعهد/ أو مَنْ مات بالقسم^(٤)

* * *

ويستخدم شوقي طريقةً أخرى تعطي الإيقاع للبيت مع وجود التقطيعات بصورة أوضح منها في التكرار ؛ وهي طريقة التقسيمات المتسلسلة في البيت :

أي أن يقوم معنى الفكرة في البيت على عدة أمورٍ تأتي خلف بعضها تباعاً وهي أكثر إيقاعاً داخلياً من الصور السابقة ، ومثال ذلك قوله :

- وما الحب إلا / طاعة / وتجاوز^٥

(١) السابق ، ص ١٤٦ .

(٢) نفسه ، ص ٢١٢ .

(٣) نفسه ، ص ٢١٢ .

(٤) السابق ، ص ٢١٢ .

وإن أكثروا / أوصافه / والمعانیا
 - وما هو إلا / العين بالعين تلتقي /
 وإن نوعوا / أسبابه / والدواعيا^(١)
 - وما العشق إلا / لذة / ثم شقوة^٢
 كما شقي المخمور بالسكر صاحيا^(٢)

في الأبيات السابقة تقطيعات إيقاعية أوجدها التقسيم اللفظي والتنويع الدلالي فيها ، وهي كما تظهر حالة الحب التي يتدرج فيه المحب ، فالبدائية بالطاعة لمحبيه ، ثم بالتجاوز عن أخطائه وعيوبه - ثم يعلل وجوده بالنظرة التي يكون لها مفعول السحر بين المحبين ، ثم يعود إلى الحديث عن التدرج فيه فيصل إلى مرحلة اللذة ، ثم الشقاء . فالتقسيمات السابقة تُرب المتلقي - قارئاً كان أم مستمعاً - ومرد ذلك ما أوجده من موسيقى داخلية في الأبيات السابقة .

وأحياناً يوجد الإيقاع بسبب لجوء شوقي إلى أسلوب الوصف المتعدد كقوله :

- ومن البهائم / مُشَبَّعٌ / ومدللٌ

ومن الحرير / شكيمةٌ / ولجام^(٣)

وقد يتكون الإيقاع من الطباق كما تكون من الجناس والتكرار كقوله:

- لا تحفلن ببؤسها / ونعيمها

نُعمى الحياة / وبؤسها / تضليل^(٤)

ثانياً : الإيقاع العام

سأتحدث تحت هذا العنوان عن الإيقاع العام لأبيات الحكمة في شعر شوقي ، وأقصد بالعام : الإيقاع العروضي ، الأوزان والبحور الشعرية ، والقوافي وأثرها على المعنى الحكمي ، وأثر الحالة النفسية لشوقي في

(١) نفسه ، ص ٦٨٧ .

(٢) نفسه ، ص ٦٨٨ .

(٣) السابق ، ص ٢٩٨ .

(٤) نفسه ، ص ٨١٤ .

اختيارها .

عند النظر إلى شعر شوقي عامةً في ديوانه أجد أن شوقي كتب شعره على بحور شعرٍ متعددة .

١- البحر الكامل:

وهو من أكثر البحور الشعرية وأوفرها حظاً في شعر شوقي ، وهو موحد التفعيلة ويأتي تاماً ومجزوءاً ، قال عنه حازم القرطاجني أن الكلام يكون نظمه فيه جزلاً^(١) ومثال التام منه قول شوقي :

- وإذا المعلم ساء لحظ بصيرةٍ

جاءت على يده البصائر حولا^(٢)

- وإذا المعل / م ساء لح / ظ بصيرةٍ

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن

جاءت على / يده البصا / نرُ حولا

متفاعلن / متفاعلن / متفاعل

ومثال المجزوء من الكامل قوله :

- والقيد لو كان الجما ن مُنظماً لم يُحمل^(٣)

- والقيد لو / كان الجما ن منظماً / لم يُحمل

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن

فمما سبق نلاحظ خدمة بحر الكامل للفكرة وهو بحر مليءٌ بالموسيقى ويجمع بين الفخامة والرقّة ، وهو ما جعل شوقي يتجه إلى كثرة استعماله في قصائده وإن كانت نسبة التام أكثر من المجزوء ، وقد أقام الدكتور محمود عسران دراسةً بين شعر شوقي وشعر حافظ في الكامل فيقول : (وقد تربع هذا البحر على قمة إبداع الأمير وطاوعه طواعيةً لم يسبقه لها شاعرٌ فنظم عليه تسع عشرة قصيدة ومائتين (٢١٩ قصيدة) عادلّت (٢٩.٥٥%) نسبة

(١) انظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة

، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦، ص ٢٠٥ .

(٢) الشوقيات ، ص ٤٢١ .

(٣) السابق، ص ٦٠٦ .

اتجاه متفوقاً على قرينه شاعر النيل الذي كانت نسبة اتجاهه إليه (٢٧.٢٥%) هذا إذا عرفنا أيضاً أن نظم شوقي في الكامل بلغ في مجمل شعره (٥٠٩٧) بيتاً وهو يقرب من شعر حافظ كله الذي يبلغ (٥٨٣١) بيتاً بينهما يوجـد منها (٣٩٧٩) في ديوانه منها (٣١٩٧) من التام ، و (٧٨٢) من المجزوء^(١) .

* * *

٢- البحر الطويل :

وهو بحر غير موحد التفعيلة ، بل يقوم على تفتيلتين مختلفتين هما (فعولن/ مفاعيلن) ، قال حازم عنه إنه من الأعاريض الفخمة الرصينة التي تصلح لمقاصد الجد^(٢) .

وهو بحر يستوعب المعاني المتعددة فيصلح للوصف ولكتابة حوادث التاريخ ومن أمثلة شعر الحكمة عليه قول شوقي :

- فأدبُ به القوم الطغاة فإنه

لنعمَ المربي للطغاة المؤدب^(٣)

- فأدبُ / بهلقومط / طغاتي / فإندهُو

فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعلن

لنعملُ / مربيلط / طغائلُ / مؤدبُو

فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعلن

* * *

٣- البحر البسيط:

وهو بحر كتنوع التفعيلة أيضاً (مستفعلن / فاعلن)، وصفه حازم (له سباطة وطلاوة) وهو يعين الشاعر على إيجاد الإيقاعات في شعره على قدر ما يريد ، فهو طيّعٌ وله موسيقى واضحة ، ومن أمثلة شعر الحكمة عليه قوله :

(١) البنية الإيقاعية في شعر شوقي، ص ٥٨ .

(٢) انظر المنهاج ، ص ٢٠٥ .

(٣) الشوقيات ، ص ١٢٠ .

- يا نفس دنياك تخفي كل مبكية
 وإن بدا لك منها حسن مبتسم^(١)
 - يا نفس دن / ياكيتخ / في كللمب / كيتن
 مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن
 وإنبدا / لکمن / هاحسنمب / تسمي
 متفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن
 ومنه أيضاً قوله :

- إذا طلبت عظيماً فاصبرن له
 أو فاحشدين رماح الخط والقضبا^(٢)
 - إذا طلب / تعضي / منفصبرن / للهو
 متفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن
 أو فحشدين / نرماحل / خططول / قضبا
 مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن
 * * *

- البحر الوافر:

وهو يتكون من (مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن) وهو يصلح للنبر العالي والموضع التي تكون مدعاةً للنغم الصوتي كقول شوقي في رثاء رياض باشا :

- يجلُّ الخطب في رجلٍ جليلٍ

وتكبر في الكبير النائبات^(٣)

- يجاللخط / بفيرجلن / جاييلن

(١) السابق ، ص ٢١٣ .
 (٢) نفسه ، ص ٢٣٧ .
 (٣) السابق ، ص ٧٣٣ .

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

وتكبر فل / كبير لنا / نباتو

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

ومثال آخر في مقام مختلف وهو حديث عن التاريخ في قصيدته (توت عنخ آمون) يقول شوقي :

- جلال الملك أيام وتمضي ولا يمضي جلال الخالدين^(١)

- جلال المل / كأيمان / وتمضي

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

ولا يمضي / جلالها / لدينا

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

* * *

٥- بحر الرجز :

وهو أصل الشعر العربي ، ويسهل نظم الشعر عليه ، وهو من البحور واحدة التفعيلة (مستعلن / مستعلن / مستعلن) وهو مناسب للنغم وللإنشاد والحكايات ، يقول شوقي :

- فقل لمن يجهل خطب الآنيه

قد فطر الطفل على الأنانية^(٢)

- فقل لمن / يجهل خط / بلآنيه

متعلن / مستعلن / مستعلن

قد فطر ط / طفل عل / أنيه

مستعلن / مستعلن / متعلن

وجاءت الحكمة على المجزوء منه كقوله :

- وإنه من يعمل ال / خير أو الشر يره^(١)

(١) نفسه، ص ١٧٤ .

(٢) السابق ، ص ١١٦٥ .

- وإِنَّهُوَ / مَنِيْعَمِلٌ
متفعلن / مستفعلن
خير أَوْشٍ / شَرْرٍيرِه
مستعلن / مستعلن

* * *

٦- البحر الخفيف :

وهو أخف البحور، وأسهلها ، وكأن المنظوم فيه منثوراً ، منوع
التفعيلاً
(فاعلاتن / مستفعلن / فاعلاتن) ، خفيف الوزن ، رشيق النغم ، ومنه
قوله :

- هكذا الدهر حالةٌ ثم ضدُّ

ما لحالٍ مع الزمان بقاء^(٢)

- هاكذذدَّة / رُحالتن / ثممضدُن

فاعلاتن / متفع لن / فاعلاتن

مالحالن ° / معززما / نيبقاءو

فاعلاتن / متفع لن / فاعلاتن

ومن المجزوء منه قوله :

- لم يمت من له أثر ° وحياءٌ من السير^(٣)

- لم يمت من / لهو أثر وحياتن / من سسير

فاعلاتن / متفعلن فاعلاتن / متفعلن

* * *

٧- البحر المتقارب:

وهو موحد التفعيلة قال عنه حازم : (فأما المتقارب فالكلام فيه حسن
الاطراد إلا أنه من الأعاريض الساذجة المتكررة الأجزاء) ^(٤).
وتفعلته (فعولن / فعولن / فعولن / فعولن) ومنه قوله :

(١) نفسه ، ص ٩٨٤ .

(٢) السابق ، ص ١٠٧ .

(٣) نفسه ، ص ٧٨١ .

(٤) المنهاج ، ص ٢٦٨ .

- حياتك كانت عظامٍ لهم

وموتك بالأمس إحدى العبر^(١)

- حياتو / ككانت / عطاتن / لهم

فعولن / فعولن / فعولن / فعو

وموتو / كبلأم / ساحدل / عبر

فعولن / فعولن / فعولن / فعو

* * *

٨- بحر الرمل :

مع لينه وسهولته كما قال حازم^(٢) إلا أنه من البحور الطيبة التي تعطي نغماً موسيقياً واضحاً، ويصلح للحكايات والإنشاد ، وهو موحد التفعيلة :

(فاعلاتن / فاعلاتن / فاعلات) ومن قوله :

- يذر المرء ويأتي ما انتهى

وقضاء الله يأتي ويذر^(٣)

- يذرلمر / ءو ويأتي / مششنتها

فعالتن / فاعلاتن / فاعلا

وقضاءل / لاهيأتي / ويذر

فعالتن / فاعلاتن / فعلا

ومن المجزوء قوله :

- فاصبري صبراً جميلاً

إن صبر الأم رحمه^(٤)

- فصبريصب / رنجمیلن

(١) الشوقيات ، ص ٧٨٠ .

(٢) انظر المنهاج ، ص ٢٦٩ .

(٣) الشوقيات ، ص ٧٨٤ .

(٤) نفسه ، ص ٩٠٤ .

فاعلاتن / فاعلاتن

إِنصبرلُ / أممرحمة

فاعلاتن / فاعلاتن

* * *

٩- البحر السريع :

وهو من البحور الثقيلة التي لا تتماشى مع رقة اللفظ ، وتفعيلاته
(مستفعلن / مستفعلن / فاعلن) ، ومما جاء عليه في الحكمة قوله :

- فلا تثق يوماً بذي حيلةٍ

إذ ربما ينخدع الثعلب^(١)

- فلا تثق / يومن بذي / حيلتن

متفعلن / مستفعلن / فاعلن

إذ رببما / ينخدعث° / ثعلبو

مستفعلن / مستعلن / فاعلن

* * *

١٠- البحر المقتضب :

وهو بحرٌ انسيابي النغم^(٢)، نادر الاستخدام في الشعر العربي،
وتفعيلاته

(فاعلاتُ / مستفعلن) ومع ذلك وجدت لشوقي حكمةً نظمها عليه
كقوله في (البنون والحياة الدنيا) :

- فتنةٌ إذا صلحوا محنةٌ إذا فسدوا^(٣)

- فتنتنُ / ذا صلحوا محنتنُ / ذا فسدوا

فاعلاتُ / مقتعلن فاعلاتُ / مقتعلن

* * *

(١) الشوقيات ، ص ٨٩١ .

(٢) انظر البنية الإيقاعية في شعر شوقي ، ص ٧٨

(٣) الشوقيات ، ص ٧٧٤٧ .

١١- بحر الهزج :

وهو من البحور موحدة التفعيلة (مفاعيلن / مفاعيلن) قال عنه
حازم القرطاجني : (إن فيه مع سداجته حدة زائدة) 'ومما جاء عليه
من حكم
قوله :

- أرى الموت على الغبرا
- أرلموتا / علغبرا
هو الجامعة الكبرى^(٢)
هولجامي / عتلكبرا
مفاعيلن / مفاعيلن

* * *

هذا ولم أجد من الشعر الحكمة في شعر شوقي ما نظم على بحر
المتدارك ، أو بحر المجتث ، أو بحر الزجل ، أو المنسرح ، وهذا
لا يعيب شوقي ، إذ أن الحكمة تفكير وتأمل ولا يخدمه البحور القصيرة ،
ولذا لم أجد له فيها من الحكمة إلا القليل .

ثالثاً : القافية

كما هم معلوم أن القافية لها أثرٌ على النص الشعري ، وكذلك
اختيار حركتها لا بد أن يتلاءم مع المعنى الموجود في النص الشعري ،
فالضمة تتناسب مع المدح والفخر ، والفتحة تتناسب مع الوصف
والنسيب ، والكسرة تناسب الرثاء والزهد ، وهذا ليس معناه أن
الحركات لا تصلح لغير ماسبق ؛ بل أرى حرف الروي الذي تبنى عليه
قافية القصيدة يساهم في الربط بين القافية وبين المعنى .

وقد عني كثيرون بالقافية مما يدل على أهميتها في الإيقاع الشعري
فهي مع الوزن عماد الشعر العربي القديم - وإن كان هناك اتجاهات
شعرية حديثة أهملتها - لكنني هنا أتحدث عن الشعر العربي المأثور
عن العرب القدماء .

(٤) المنهاج ، ص ٢٦٨

(٢) الشوقيات ، ص ١١٣٠ .

ومما يدل على أهميتها قول القرطاجني : (الكلام الكريه إذا وقع في أثناء البيت قد يتلوه ما يغطي عليه فيشغل النفس عن الالتفات إليه ، أما إذا وقع في القافية فإنه يأتي في أشهر موضعٍ وأشدّه تلبساً بعناية النفس ، فتبقى النفس متفرغةً لملاحظته والاشتغال به ولا يعيقها عنه شاغل)^(١).

وقد حصر الدكتور محمود عسران حروف الروي في قوافي شوقي « لقد استعمل شوقي ثلاثةً وعشرين حرفاً رويًا لقصائده ماعدا الألف والثاء والذال والشين والطاء، وهي الأحرف النادرة الورد جداً في شعرنا العربي ، وهذه الوفرة في استعمال هذه الأصوات تحسب لشوقي »^(٢).

لقد استطاع شوقي فهم صفات الحروف العربية وخدم بها شعره .

(١) المنهاج ، ص ٢٧٦ .

(٢) البنية الإيقاعية في شعر شوقي، ص ١٣٧ .

القوافي المطلقة:

- يقول على الهمزة:

إن ملكت النفوس فابغ رضاها
الأسد تزار في الحديد ولن ترى
وغداً سيذكرك الزمان ولم يزل
فلهما ثورةٌ وفيها مضاءٌ^(١)
في السجن ضرغاماً بكى
للدهر إنصافاً وحسن جزاءٍ^(٢)
^(٣)

- وقال على الباء:

فما زلت بالأهوال حتى
كم صعّب اليوم من سهلٍ هممت
نعيش ونمضي في عذابٍ كلذة
وقد تُركبُ الحاجات ما ليس
وسهل الغد في الأشياء ما صعّباً^(٤)
من العيش أو في لذةٍ كعذابٍ^(٥)
^(٦)

- وقال على التاء:

وليس الميت تبكيه بلادٌ
ولو أنّ الجهات خلقن سبعاً
كمن تبكي عليه النائحات^(٧)
لكان الموت سابعة الجهات^(٨)

- وقال على الحاء:

والناس مبكيٌ وبالكٍ إثره
ومن يصبر يجد طول التمني
وإذا أخذت المجد من أمية
وبكوا الشعوب إذغ النوابغ
على الأيام قد صار اقتراحاً^(٩)
لم تُعطَ غير سرايه اللماح^(١٠)

(١) الشوقيات، ص ١٠٥.

(٢) نفسه، ص ٦٩٩.

(٣) نفسه، ص ٧١١.

(٤) نفسه، ص ١٢٥.

(٥) نفسه، ص ٢٣٩.

(٦) نفسه، ص ٧٢٢.

(٧) نفسه، ص ٧٣٣.

(٨) نفسه، ص ٧٤٠.

(٩) السابق، ص ٧٤٥.

(١٠) نفسه، ص ٢٤٧.

(١١) نفسه، ص ٢٥٢.

- وقال على الدال:

قف دون رأيك في الحياة
ومن لقي السباع بغير ظفر^(١)
كلُّ حيٍّ على المنية غادي
تتوالى الركاب والموت^(٢)
...^(٣)

- وقال على الراء:

والعيش آمالٌ تجدُّ وتنقضي
أجد الحياة حياة دهرٍ ساعة^(٤)
والنفس ترغب في الدنيا وما
...^(٥)
والموت أصدق والحياة
وأرى النعيم نعيم عمر^(٦)
من الحياة على صفو بلا^(٧)
...^(٨)

- وقال على السين:

إذا لم يستر الأدب الغواني
يا فؤادي لكل أمر ق قرار^(٩)
فلا يغني الحرير ولا الدمقس^(١٠)
فيه يبدو وينجلي بعد لبس^(١١)

- وقال على العين:

لا يعجبكم ساعٍ بتفرقة
كشفت به الحياة فلم أجدها
ليس الحجاب لمن يعز مناله
إنَّ المقص خفيفٌ حين يقطع^(١٢)
ولمحة مائها إلا خداعا^(١٣)
إنَّ الحجاب اهينٌ لم يُمنع^(١٤)

- وقال على الفاء:

- (١) نفسه، ص ٣٧٣.
- (٢) نفسه، ص ٣٦٧.
- (٣) نفسه، ص ٧٥٥.
- (٤) نفسه، ص ٧٦٨.
- (٥) نفسه، ص ٣٨٧.
- (٦) نفسه، ص ١٠٠٢.
- (٧) السابق، ص ٥٥٦.
- (٨) نفسه، ص ٥٦٢.
- (٩) نفسه، ص ٤١١.
- (١٠) نفسه، ص ٧٨٨.
- (١١) نفسه، ص ٥٧٣.

أعلمت للقمرين من أسلاف^(١)

يدُ سلفتٍ ودينٌ مستحق^(٢)

جعل الهداة بها دعاة شقاق^(٣)

ذهبت ريحه وضاع ثناك^(٤)

فيها عزيزاً مات وهو ذليل^(٥)

فأقم عليهم مأتماً وعويلاً^(٦)

كأنها غابةٌ من غير رنبال^(٧)

والمعالي على النيام حرام^(٨)

أحلوا غير مرماها السهام^(٩)

فقوم النفس بالأخلاق تستقم^(١٠)

وتمام الشجاعة الإحسان^(١١)

قلّ للمشير إلى أبيه وجده

- وقال في القاف:

ولالأوطان في دم كل حرّ

وإذا أراد الله إشقاء القرى

- وقال على الكاف:

وإذا الفضل كان ابتذالاً

- وقال في اللام:

ولكل نفس ساعةٌ من لم يمت

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم

إذا جفا الحق أرضاً هان^١

- وقال على الميم:

نمتم ثم تطلبون المعالي

إذا كان الرماة رماة سوءٍ

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

- وقال على النون:

إنّ عندي لكل شيءٍ تماماً

(١) نفسه، ص ٨٠٠ .

(٢) نفسه، ص ٢٧٢ .

(٣) نفسه، ص ٥٨٩ .

(٤) السابق، ص ١٠٧٣ .

(٥) نفسه، ص ٨١٤ .

(٦) نفسه، ص ٤٢١ .

(٧) نفسه، ص ٨٢٢ .

(٨) نفسه، ص ٤٤٤ .

(٩) نفسه، ص ٢٨٩ .

(١٠) نفسه، ص ٢١٥ .

(١١) نفسه، ص ١١٣٤ .

رض له إن قام أو سار وزناً^(١)
يشقى له الرحماء وهو^(٢)

رُبَّ عاثٍ في الأرض لم تجعل
الناس غادٍ في الشقاء ورائح^(٣)

- وقال على الهاء:

كل نفسٍ في ورديها رداها^(٣)

قلت يا قوم اجمعوا أحلامكم

- وقال على الياء:

وإن هو ضلّ كان السامرياً^(٤)

إذا رشد المعلم كان موسى

* * *

(١) نفسه، ص ٤٥٧.

(٢) السابق، ص ٨٥٣.

(٣) نفسه، ص ٨٧١.

(٤) نفسه، ص ٨٨٣.

والنصف ماتوا بالمرض^(١) النصف مات بجهله

- وعلى العين قصيدة كاملة :

ذهب الزمان فكم رجع^(٢) لا تخل من أمل إذا

- وعلى القاف :

إن ضيق الرزق من ضيق الخلق^(٣) وتجيب كل خلق لم يرق

- وعلى الكاف :

إنما الطفل على الأرض ملك^(٤) أحبب الطفل وإن لم يك لك

- وعلى اللام :

إنما الصحة والرزق العمل^(٥) كن نشيطاً عاملاً جمّ الأمل

- وعلى الميم (قصيدة كاملة):

ت العلم من غير العليم^(٦) والجهل حظك إن أخذ

- وعلى النون (قصيدة كاملة) :

أوشكت تصدع شمل الفرقدين^(٧) إن للموت يداً إن ضربت

- وعلى الهاء :

من تغب عنه تفته المعرفة^(٨) إن للعلم جميعاً فلسفه

مما سبق تتضح معرفة شوقي بخصائص الحروف ومقدرته على

(١) نفسه، ص ١١٣١ .

(٢) نفسه، ص ٤١٤ .

(٣) نفسه، ص ٣٣٨ .

(٤) نفسه، ص ٣٣٩ .

(٥) نفسه، ص ٣٣٧ .

(٦) السابق، ص ٤٥٤ .

(٧) نفسه، ص ٨٥٧ .

(٨) نفسه، ص ٣٣٦ .

بناء قصائده على أكثرها إطلاقاً وتقييداً ، أما من حيث حسن اختياره لحرف القافية ليتناسب مع النص أو مع حالته النفسية فسأعرض لبعض حروف الروي التي كانت متوائمةً مع النص أو مع حالته الشعرية .

- موائمة القافية مع النص والحالة النفسية :

أ- سأختار قصيدة شوقي (نكبة دمشق) وهي قصيدةٌ قالها في حفلة لإعانة منكوبي سوريا بمسرح حديقة الأزبكية في يناير ١٩٦٢ ، وذلك بعد أن ضربها الفرنسيون بالمدافع ودخلوا دمشق في ١٨ أكتوبر ١٩٢٣ (١).

١- جعل حرف القاف قافيةً للقصيدة ، وهو مناسبٌ لدمشق التي تنتهي بنفس الحرف فكأنما يتكرر ذكرها في كل بيت من خلال ربطها بحرف القاف .

٢- مع أن الموقف موقف استنهاض فقد اختار القاف وهي حرفٌ مهموسٌ ، ولكنه استطاع أن يسبقها بحروف جهرٍ أعطت القارئ والمستمع معنى الاستنهاض ثم تلتها القاف ذات الصخب القوي .

٣- اختيار حركة الضمة للقاف مع وجود الانكسار في نفسه يُحسب لشوقي فالمقام يستدعي النهوض من الحزن والدفاع واسترداد ما ذهب ، والضمّة مع القاف أعطت ألقاً وصوتاً صاخباً رناناً يتناسب مع الموقف العام .

٤- جاءت الحكمة في القصيدة متفقة مع الجو النفسي العام بل كان للقافية مع حركتها دورٌ في إبراز معنى الحكمة وجعلها تخدم المعنى العام . فهو بعد بداية هادئةٍ مسالمةٍ:

سلامٌ من صبا بردى أرقٌ ودمعٌ لا يكفكف يا دمشق (٢)

وبعد عدة أبيات تتسم بالهدوء ، يعلو عنده النبر فجاءت الحكمة عالية النبر كذلك فاستمع له وهو يقول :

وقفتم بين موت أو حياةٍ فإن رمتم نعيم الدهر فاشقوا (٣)

(١) نفسه، ص ٢٧٠ .

(٢) السابق، ص ٢٧٠ .

(٣) نفسه، ص ٢٧١ .

ولالأوطان في دم كل حر
ومن يسقي ويشرب بالمنايا
ولا يبني الممالك كالضحايا
ففي القتلى لأجيال حياة
وللحرية الحمراء باب
يد سلفت ودين مستحق
إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا؟
ولا يدني الحقوق ولا يحق
وفي الأسرى فدى لهمو وعتق
بكل يد مضرجة يدق^(١)

إن القاف في القصيدة كقافية كان لها حضور إيقاعي فاعل يؤثر في نفس المتلقي .

ب- القصيدة الثانية: هي قصيدة تمتاز ب بروز الجانب النفسي للشاعر فيها ، وهي قصيدته في (رثاء والده) ، فحالة الحزن المتمكنة من الشاعر لم تشوش عليه في اختيار القافية وحركتها ، بل وفق لذلك فاختر النون رويًا وقيدتها . والنون حرف من حروف الجهر لكن عندما جعله شوقي مقيداً أعطى نغماً حزيناً يشبه أنين الباكي الحزين ، ولذا جاءت الحكمة في هذا النص متوائمة مع الروي وحركته ، فشوقي يقول :

سألوني : لِمَ لَمْ أرث أبي؟ ورثاء الأب دين أي دين
أيها اللوام ما أظلمكم ! أين لي العقل الذي يسعد أين^(٢)

إن شوقي يبرر موقفه في عدم رثاء والد مباشرةً بحالة الذهول التي تملكته (أين لي العقل) ، مع اعترافه بوجوب رثاء والده عليه ، وإن تأخر يبقى ديناً لا بد من قضائه . إذن الحالة النفسية لشوقي هي حالة الحزن العميق لفقد والده ، وقد أعطى حرف النون الساكن نغمة الحزن التي عليها الشاعر وكأنه آهة من آهات البكاء المكتوم في صدر شوقي ، بينما جعل شوقي قبل الروي (النون) حرف الياء ويسمى عروضياً (الردف) وهو ما يسبق حرف الروي ، والجميل أنه جعله أيضاً ساكناً ليتواءم مع الروي ، وليضفي حالة من الهدوء النفسي المليء بالحزن والانكسار لوفاة والده ، ولذا جاءت الحكمة ناتجة عن هذا الهدوء النفسي الذي جعل شوقي يفكر

(١) السابق، ص ٢٧٣ .

(٢) نفسه، ص ٨٥٧ .

ويتأمل في فقد والده وفي الموت والحياة ، فيقول في البيت الثالث مباشرة :

يا أبي ما أنت في ذا أول^١ كل نفساً للمنايا فرض عين^٢
 هلكت قبلك ناس^٣ وقرى ونعى الناعون خير الثقلين^٤
 غاية المرء وإن طال المدى أخذ^٥ يأخذه بالأصغرين^٦
 وطبيب^٧ يتولى عاجزاً نافذاً من طبه خفي حنين^٨
 إن للموت يداً إن ضربت أو شكت تصدع شمل الفرقدين^(١)

والتزام شوقي بالياء المقيدة ردفاً وبالنون المقيدة رويًا أعطى معنى الثنائية التي ذكرها شوقي (هو ووالده) ومعروف أن الياء والنون من علام التثنية :

أنا من مات ومن مات أنا لقي الموت كلانا مرتين^(٢)

حتى مع الكلمة المثناة ظهرت الروي والتأسيس منسجمين معها:

يا أبي والموت كأس^٣ مرة^٤ لا تذوق النفس منها مرتين^(٣)

ج - القصيدة الثالثة : رائعة شوقي (نهج البردة) وهي التي مدح بها النبي □ . وقد اختار لها شوقي حرف الميم رويًا وجعل حركته الكسرة ، فالميم حرف^٥ من الحروف الجاهريّة لكنها طريقة نطقه وهي بضم الشفتين تعطي معنى الحب ، وكأنما نطقه قبلتين متتاليتين ! ، وكسر الميم يعطي معنى الإجلال لمقام النبي عليه الصلة والسلام . فأحسن شوقي في اختيارها لتتنفق القافية مع النص وهو حب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . يقول شوقي :

ريم^٦ على القاع والعلم أحل^٧ سفك^٨ دمي في الأشهر^(٤)

إن البداية الغزلية تقليد قديم في الشعر العربي ، وكان شوقي يعيدنا

(١) السابق، ص ٨٥٧ .

(٢) نفسه، ص ٨٥٧ .

(٣) نفسه، ص ٨٥٧ .

(٤) السابق، ص ٢١٢ .

إلى عصر النبي □ ، ونستحضر موقف كعب بن زهير رضي الله عنه عندما وقف بين يدي النبي عليه السلام مادحاً ومعتذراً وبادئاً قصيدته بالغزل (بانت سعاد) . وقد تلت الحكمة الغزل في هذه القصيدة :

يا نفس دنياك تخفي كل مبكية
مخطوبة - منذ كان الناس -
كم نائم لا يراها وهي ساهرة
طوراً تمدك في نعمى وعافية
وإن بدا لك منها حسن مبتسم
صالح أمرك للأخلاق مرجعه
كم أول الدهر لم ترمل ولم تئم
والنفس من شرها في مرتع وخم
لولا الأمانى والأحلام لم ينم
وتارة في قرار البؤس والوصم
فقوم النفس بالأخلاق تستقم
طغي الجهاد إذا عضت على
٢١١

إن كل ما سبق ذكره من حكم كان مدخلاً للحديث عن النبي □ ،
وإن كان المدخل الرئيس قوله :
لزمت باب أمير الأنبياء ومن يمسك بمفتاح باب الله يغتنم^(٣)

وقمة الحب للنبي □ تبدو واضحة في نفس شوقي وتبدو في أعلى درجاتها في افتخاره بتسميته باسم من أسماء النبي عليه الصلاة والسلام (أحمد) ، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله □ :
« لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقبُ »^(٤) .
وشوقي يقول مفاخرًا :

يا أحمد الخير لي جاهٌ بتسميتي
وكيف لا يتسامى بالرسول سمي^(٥)

* * *

(١) نفسه، ص ٢١٤ .
(٢) السابق، ص ٢١٥ .
(٣) نفسه ، ص ٢١٦ .
(٤) صحيح البخاري ، ص ٥٩٤ .
(٥) الشوقيات ، ص ٢٢٠ .

إذن القافية تلعب دوراً بارزاً في إيصال المعنى للمتلقى ، بل وربط الأبيات بعضها ببعض، فقد كان الإيقاع بنوعيه عند شوقي واضحاً فالنبر ملحوظٌ ، والموسيقى الداخلية جليّةٌ ، والأوزان متنوعة ، والقوافي متعددة .

وبقصيدة شوقي عن النبي عليه السلام أراه خير ختامٍ لمبحث الإيقاع .

المبحث الثالث

الموقع

إن موقع أبيات الحكمة في القصيدة له دلالات لا يمكن تجاهلها ، فسواء قصد الشاعر ترتيب أبياته أو لم يقصده فإن الدلالات لا بد من فهمها من خلال استنباطها من أمرين - في نظري- :

١- الحالة النفسية للشاعر .

٢- المعنى العام للنص .

فمن خلال النظر للأمرين السابقين يمكن لنا أن نعرف سبب وجود أبيات الحكمة في أول القصيدة أو في وسطها أو خاتمة لها .

والحكمة في قصائد ديوانه جاءت على ثلاثة أشكال:

١- حكمة في المقدمة .

٢- حكمة منتشرة في بقية القصيدة .

٣- حكمة في الخاتمة .

- أولاً : في المقدمة :

إذا أورد شوقي الحكمة في بداية القصيدة فهو يسعى إلى الإشارة إلى المعنى العام للقصيدة ، والذي سينظم فيه قصيدته ، وهي تمثل عنده خط البداية الموصل للمعنى العام والذي يمثل خط النهاية ، وهي مثل العقد الذي تنتظم الأبيات من خلاله فلا يمكن نسيانها وإن طال النص كما لا نستطيع تجاهل رؤية العقد الناظم للجواهر والذي فيه أكبرها وأجملها .

وشوقي قد يجعل الحكمة بيتاً واحداً في المقدمة وقد يجعلها أبياتاً متعددة ، فمن مثال الأول قوله :

أما العتاب فبالأحبة أخلق^(١) والحب يصلح بالعتاب ويصدق^(١)

فهذه الحكمة لها ما يدل عليها طوال القصيدة ، من كلمة تدل على

(١) الشوقيات، ص ١٠٧١ .

المحبة أو الوفاء أو المسامحة بين الأصحاب والأحباب ، يقول في البيت الثالث عشر :

مولاي حكمك في الرقاب مقيدٌ^١ سمحٌ فأما في القلوب فمطلق^(١)

ثم يقول في البيت التاسع والعشرين :

لما عفوت وكان ذلك شيمةً^٢ طربا وهزهما السجين المطلق^(٢)

فكما اتضح من السابق حافظ البيت الأول على القصيدة التي دارت في نسجه وكان شوقي ألمح له في وسط القصيدة وفي آخرها - إذ علمن أنها ثلاثون بيتاً .

ومثال تعدد الحكمة في المطلع :

يموت في الغاب أو في غيره	كل البلاد وسادٌ حين تُتسدُّ
قد غيَّبَ الغرب شمساً لا سقام لها ^٣	كانت على جنبات الشرق تتقدُّ
حدا بها الأجل المحتوم	إنَّ النفوس إلى آجالها تفدُّ
كُلُّ اغترابٍ متاعٌ في الحياة	يومٍ يُفارقُ فيه المهجةَ الجسد ^(٣)

لقد عدد شوقي من الحكمة في قصيدته هذه والتي رثى بها ثروت باشا ، والتكرار هنا لطول التأمل في الحياة والاعتبار من الموت .

وقد تكرر هذا الأمر - تعدد الحكمة في المطلع - في قصائد أخرى ، رثائيةً أيضاً ، وكان التأمل في الحياة والموت يستدعي منه أن يعدد من أبيات الحكمة في مطلع رثائياته ، إذ لا بد من إظهار حقارة الدنيا والاعتراف بالموت كنهاية لا مفر منها . فيقول في رثائه لمحمد فريد بك :

كل حيٍّ للمنية غادي	تتوالى الركاب والموت حادي
ذهب الأولون قرناً فقرنا	لم يدم حاضرٌ منهم ولم يبقَ
هل ترى منهم وتسمع عنهم	غير باقي مآثرٍ وأيادي ^١ ؟

(١) نفسه، ص ١٠٧١ .

(٢) نفسه، ص ١٠٧٢ .

(٣) السابق، ص ٧٥٠ .

كرة الأرض كم رمت صولجانا
والغبار الذي على صفحاتها
وطوعت من ملاعبٍ وجيادٍ
دوران الرحي على الأجساد^(١)

وقد تأتي الحكمة بعد البيت الأول مباشرةً ، كقوله :

نجددُ ذكرى عهدكم ونُعيدُ
وللناس في الماضي بصائر
وئدني خيال الأمس وهو بعيدُ
عليهنَّ غاويٍّ أو يسيرُ رشيدُ
إذا الميت لم يكرُم بأرضٍ ثناؤه
تحيَّر فيها الحيُّ كيف يسود^(٢)

ويقول:

سر أبا صالحٍ إلى الله واتركُ
هذه غايية النفوس وهذا
مصر في مآتمٍ وحزنٍ شديدٍ
منتهى العيش : مرهٍ والرغيدِ
هل ترى الناس في طريقك إلاَّ
نعش كهلٍ تلاه نعشُ الوليدِ
إنَّ أوهى الخيوط فيما بدا لي
خيط عيشٍ معلقٍ بالوريدِ
مضغةٌ بين خفقةٍ وسكونٍ
ودمٌ بين جريئةٍ وجمودِ^(٣)
^(٤)

* * *

ثانياً : الحكمة في وسط القصيدة :

إن شوقي يلجأ لإيراد الحكمة في وسط القصيدة لتكون مثل إشارة التنبيه للمتلقي ، ولترابط بين أقسام النص ، وهذا النوع كثيرٌ جداً في شعره .

وسأختار قصيدةً واحدةً من أطول القصائد في ديوان شوقي وهي قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) وبلغ عدد أبياتها مائتان وأربع وستون (٢٦٤) بيتاً وقد تخللتها الحكمة ، ففي البيت السابع عشر (١٧) :

(١) نفسه، ٧٥٥ .

(٢) نفسه، ص ٧٥٤ .

(٣) السابق، ص ٧٥٩ .

(٤) نفسه، ص ١٠٣ .

فقد يوماً عن وخذها ضاق وجهه أرض وانقاد بالشراع الماء

٢١

وفي البيت الثاني والعشرين (٢٢):

ليس في الممكنات ان تنتقل الأجب ال شماً وأن تُنال السماءُ

وفي البيت التاسع والعشرين (٢٩):

فاعذر الحاسدين فيها إذا لا موا فصعبٌ على الحسود الثناءُ

وفي البيت السابع والثلاثين (٣٧):

ما الذي داخل الليالي من في صبانا ولليالي دهاءُ ؟

وفي البيت الثامن والأربعين (٤٨):

إن ملكت النفوس فابغي رضاها فلها ثورةٌ وفيها مضاءُ

وفي التاسع والأربعين (٤٩):

يسكن الوحش للوثوب من الأ سر فكيف الخلائق الضعفاءُ ؟

وفي الخمسين (٥٠):

يحسب الظالمون أن سيسودو ن وأن لن يُؤيد الضعفاءُ

وفي الحادي والخمسين (٥١):

والليالي جوائرٌ مثلما جا روا وللدهر مثلهم أهواءُ

وفي الثالث والخمسين (٥٣):

لم يكن ذلك من عمى، كل عينٍ حجب الليل ضوءها عمياءُ

وفي الخامس والستين (٦٥) إلى التاسع والستين (٦٩):

يولد السيد المتوج غضاً طهرته في مهدها النعماءُ

لم يغيره في ميلاده بو سٌ ولا ناله وليداً شقاءُ

فإذا ما المملقون تولو ه ، تولى طباعه الخيلاءُ

وسرى في فؤاده زخرف القو
 فاذا أبيض الهديل غراباً
 وفي الثاني والثمانين (٨٢):
 هكذا الدهر حالة ثم ضد
 وفي الثامن والتسعين (٩٨):
 فأروه الصديق في ثوب فقر
 وفي المائة (١٠٠):
 هكذا الملك والملوك وإن جا
 وفي الحادي والثلاثين بعد المائة (١٣١):
 فاصبري مصر للبلاء وأنى
 وفي الثاني والخمسين بعد المائة (١٥٢):
 مثلت للعيون ذاتك والتم
 وفي البيت الحادي والستين بعد المائة (١٦١):
 ظنّ فرعون أنّ موسى له وا
 وفي البيت الثالث والستين بعد المائة (١٦٣):
 فرأى الله أن يعقّ والله
 وفي البيت الثامن والستين بعد المائة (١٦٨):
 فكبيراً ألا يُصان كبيراً
 وفي البيت التاسع والسبعين بعد المائة (١٧٩):
 فهموا السر حين ذاقوا وسهلاً
 وفي البيت الثامن والثمانين بعد المائة (١٨٨):
 سنة الله في الممالك من قب
 ل ، تراه مستعذباً وهو دواء
 وإذا أبلج الصباح مساءً
 ما لحال مع الزمان بقاء
 يسأل الجمع والسؤال بلاء
 ر زمان وروعت بلواء
 لك ؟ والصبر للبلاء بلاء
 ثيل يُدني من لا له إثناء
 ف ، وعند الكرام يُرجى الوفاء
 تقى - لا لغيره - الأنبياء
 وعظيم أن يُنبذ العظماء
 أن ينال الحقائق الفهماء
 ل ومن بعد ، ما لنعمى بقاء

وفي البيت الرابع والتسعين بعد المائة (١٩٤):
وكذاك النفوس وهي مراضٌ بعض أعضائها لبعضٍ فداءً

وفي البيت السادس والتسعين بعد المائة (١٩٦):
وإذا جلت الذنوب وهالتُ فمن العدل أن يهول الجزاءُ

وفي الحادي والثلاثين بعد المائتين (٢٣١):
واذكر الغرَّ آل أيوبَ وامدحُ فمن المدح للرجال جزاءُ

وفي الثامن والأربعين بعد المائتين (٢٤٨):
ليس للذل حيلةٌ في نفوسٍ يستوي الموت عندها والبقاءُ

وفي الرابع والخمسين بعد المائتين (٢٥٤):
فيداري ليعصم الغدَ منهم والمدارة حكمةٌ ودهاءُ

إن بث شوقي للحكمة في هذه القصيدة مثل من يرفع بيتاً من الشعر كبيراً جداً بأعمدة كثيرة ، ومن شأنها هنا أن تجعل المتلقي مرتبطاً بالذهن دائماً بالمعاني التي يدور عليها النص وهذا ما أراده شوقي .

ثالثاً : الحكمة في الخاتمة :

وهذا الموقع هو أهم من سابقه ، لأن الحكمة لما تكون خاتمةً فكأنما هي الخلاصة والنتاج لما سبق ، وأحياناً تكون مسك الختام الذي يبرز فيه شوقي تجاربه .

وقد يختم وقى ببيتٍ واحدٍ ، وقد يختم بعدة أبيات ، فمثال الأول قوله

وأفَّ على العلم الذي تدَّعونهُ إذا كان في علم النفوس

وختم بها حديثه بعد وصفه للغواصة الألمانية التي نسفت باخرة لوزيتانيا .

ومثال الأبيات المتعددة :

والنصح خالصه دينٌ وإيمانٌ
أو حكمةٌ فهو تقطيعٌ وأوزانٌ
ونحن في الجرح والآلام إخوان^(١)

نصيحةٌ ملؤها الإخلاص
والشعر ما لم يكن ذكرى^١
ونحن في الشرق والفصحى بنو^٢

وقد ختم بها قصيدته (دمشق) والتي تحدث عن وحدة الصف العربي .

وفي نهاية هذا المبحث يتضح مدى اهتمام شوقي بالحكمة في شعره فهي خلاصة تجاربه ونتاج حياته .

* * *

الختام

من خلال دراستي لشعر الحكمة في ديوان شوقي (الشوقيات) ومن خلال قراءتي للدراسات السابقة لشوقي والتي تناولت شوقي عامة أو تناولت جانب الحكمة عنده على نزرٍ يسير ، خلصت إلى:

- ١- غزارة الحكمة في شعر شوقي في ديوانه .
- ٢- الحكمة التي في شعره استقاها شوقي من :
 - أ- نشأته الأولى ، وتولي الخديوي أمره ، مما جعله ينكب على القراءة والاطلاع .
 - ب- علاقته مع الشيخ البسيوني الذي أضفى الصبغة الدينية الدينية على شخصية شوقي .
 - ج- قربه من القصر وعمله فيه واطلاعه على الأحداث عن قرب .
 - د- سعة اطلاع شوقي على الشعر العربي القديم .
 - هـ- سفر شوقي للغرب واطلاعه على الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي ، وتأثره بهما .
 - و- رحلته في المنفى إلى أسبانيا .
 - ز- معاشته لأحداثٍ عظامٍ كالثورة في مصر ، والاستعمار في العالم العربي .
 - ح- اشتغال شخصيته على جانبٍ من الفلسفة الناتجة عن التأمل .
 - ط- حبه لمعارضة القدماء من الشعراء .
 - ي- التشابه بينه وبين المتنبي في بعض الجوانب الشخصية .
- ٣- الحكمة في شعره لم تكن مقصورةً على غرضٍ معين ؛ بل جاءت في كل الأغراض تقريباً ، حتى في حكاياته للأطفال .
- ٣- كانت الحكمة عنده على نوعين :
 - أ- حكمة عملية .

ب- حكمة نظرية .

٤- صاغ الحكمة على إحدى عشر بحراً : (الكامل ، الطويل ، البسيط ، الوافر ، الرجز ، الخفيف ، المتقارب ، الرمل ، السريع ، الهزج ، المقتضب) .

٥- استخدم فيها أنواعاً من المحسنات البلاغية : (التشبيه ، الاستعارة ، الجناس ، المقابلة ، الطباق ، المجاز ، الكناية) .

٦- استخدم فيها التراكيب الشرطية ، والاستفهامية ، والأمر والنهي ، والاعتراض ، والتعجب ، والعكس ، والتناظر .

٧- اشتملت على الصور الحركية (البصريّة) والسمعيّة .

٨- كتب قوافيها المطلقة على ستة عشر حرفاً ، والمقيدة على أربعة عشرة حرفاً .

٩- وقعت الحكمة في مطلع القصيدة (مفردةً ومتعددةً) ، ومبثوثةً في كل القصيدة ، وفي ختام القصيدة (مفردةً ومتعددةً) .

وختاماً فإن الحكمة في ديوان شوقي تحتاج إلى مزيد من الدراسات، ودراستها فيما بقي من إرثه : ديوان الشوقيات المجهولة ، والمسرحيات الشعرية ، وأرجوزة دول وعظماء الإسلام . وفي ظني أنها لا تخلو من الحكمة ، وهي تنتظر من يدرسها ويظهرها عن طرق التقصي والتحليل .

أسأل الله أن ينفعني بما قدمت في هذه الدراسة ، وأن أكون قد قدمت ما يناسب مكانة شوقي الشعرية ، وما هو إلاّ جهد المقل ، فإن أحسنت فم
الله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وصلى الله على نبينا محمد
وعلى
آله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين ، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات .

أولاً القرآن الكريم .

ثانياً: المصادر والمراجع:

- ١ - أحمد شوقي ، دراسات ومختارات ، الدكتور محمد عبد الله عطوات ، دار المناهل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- ٢ - أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ ، الدكتور فوزي عطوي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م .
- ٣ - الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط بغداد ، الدكتور أحمد هيكل ، دار المعارف ، الطبعة الثانية عشرة .
- ٤ - الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، مطبعة مصر محمد ، مصر ١٣٥٨ هـ .
- ٥ - الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، مصور عن طبعة دار الكتب .
- ٦ - الإيقاع الصوتي في شعر شوقي الغنائي ، منير سلطان ، منشأة المعارف الإسكندرية .
- ٧ - البداية والنهاية ، ابن كثير ، عناية / حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية .
- ٨ - البنية الإيقاعية في شعر شوقي ، محمد عسران ، مكتبة بستان المعرفة ، ٢٠٠٦ م .
- ٩ - تاريخ الأدب العربي ، الدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة .
- ١٠ - تاريخ الطبري ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦ م .
- ١١ - الترغيب والترهيب ، المنذري ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى .
- ١٢ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق الدكتور / عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٤ هـ .
- ١٣ - تفسير القرطبي ، القرطبي ، دار الكتب العلمية .
- ١٤ - الثابت والمتحول ، أدونيس ، دار الساقي ، الطبعة الثامنة ، ٢٠٠٢ م .

- ١٥ - ثلاث رسائل للجاحظ ، المكتبة السلفية ، القاهرة .
- ١٦ - جارميات ، أحمد علي الجارم ، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .
- ١٧ - جامع البيان عن تأويل القرآن ، الطبري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .
- ١٨ - جوامع علم الموسيقى ، ابن سينا ، تحقيق زكريا يوسف ، نشر وزارة التربية ، القاهرة .
- ١٩ - حافظ شوقي ، طه حسين ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- ٢٠ - خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٦ م .
- ٢١ - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ .
- ٢٢ - الدين والأخلاق في شعر شوقي ، علي النجدي ناصف ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .
- ٢٣ - الديوان ، العقاد والمازني ، مكتبة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٩٢١ م .
- ٢٤ - ديوان البارودي ، ضبطه وشرحه : علي الجارم بك ، محمد معروف ، مكتبة دار البيان الحديثة .
- ٢٥ - ديوان الفرزدق ، تقديم وشرح مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥ هـ .
- ٢٦ - ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة .
- ٢٧ - ديوان حافظ إبراهيم ، دار صادر ، الطبعة الأولى .
- ٢٨ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم الجوزية ، المطبعة المصرية ومكنتها .

- ٢٩ - سنن ابن ماجه ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ .
- ٣٠ - سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٣١ - السنن الكبرى ، البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٢ - سيرة ابن هشام ، ابن هشام ، دار المعرفة .
- ٣٣ - شرح ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٧ هـ .
- ٣٤ - شرح ديوان جرير ، تاج الدين شلق ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥ هـ .
- ٣٥ - شرح ديوان حسان بن ثابت ، شرح البرقوقى ، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٧ هـ .
- ٣٦ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه أبو العباس ثعلب ، قدم له ووضع فهرسه الدكتور حنا الحتي ، دار الكتاب العربي .
- ٣٧ - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق الدكتور عمر الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .
- ٣٨ - شوقي ، شكيب أرسلان ، دار الفضيلة ، ٢٠٠٣ م .
- ٣٩ - شوقي شاعر العصر الحديث ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثانية عشرة .
- ٤٠ - شوقي شعره الإسلامي ، الدكتور / ماهر حسن فهمي ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .
- ٤١ - شوقي وقضايا العصر والحضارة ، الدكتور حلمي علي مرزوق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ٤٢ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، تحقيق الدكتور علي عبد المنعم ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م .
- ٤٣ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، دار الكتاب العربي .
- ٤٤ - الشوقيات ، دار نوبار ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- ٤٥ - الصاحبى ، ابن فارس ، تحقيق الدكتور / عمر الطباع ، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى .
- ٤٦ - الصحاح ، الجوهري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .
- ٤٧ - صحيح البخاري ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية .
- ٤٨ - صحيح مسلم ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى .
- ٤٩ - طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي .
- ٥٠ - العلم والشعر ، أ.أ. ريتشاردر ، ترجمة مصطفى بدوي ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١ م .
- ٥١ - العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٤ هـ .
- ٥٢ - عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق الحاجري وسلام ، المكتبة التجارية ، القاهرة .
- ٥٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، المكتبة السلفية .
- ٥٤ - القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، مؤسسة فن الطباعة .
- ٥٥ - الكشف ، الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١ هـ .
- ٥٦ - لسان العرب ، ابن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت .
- ٥٧ - مجموع فتاوى ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم ، دار عالم الكتب .
- ٥٨ - مشكلات الحضارة ، مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٤ م ، إعادة ١٤٢٠ هـ .

- ٥٩ - معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، الطبعة الأولى .
- ٦٠ - معجم تهذيب اللغة ، الأزهرى ، تحقيق الدكتور / رياض زكي قاسم ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى .
- ٦١ - مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، الدكتور / فاتح علاق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ م ، (الشبكة الإلكترونية) .
- ٦٢ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجي ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ م .
- ٦٣ - الموسيقى الكبير - الفارابي - تحقيق غطاس خشبة ، دار الكتاب العربي .
- ٦٤ - نظرية الأدب ، أوستن وارين ورينيه ويليك ، ترجمة محيي الدين صبحي ، مطبعة خالد الطرابيشي .
- ٦٥ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - المقري التلمساني - ، تحقيق الدكتور / إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م .
- ٦٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى .
- ٦٧ - وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر .
- ٦٨ - أبولو ، ديسمبر ١٩٣٢ .
- ٦٩ - المقتطف ، نوفمبر ١٩٣٢ م .
- ٧٠ - مجلة الفيصل ، العدد ١٩٩ ، محرم ١٤١٤ هـ .
- ٧١ - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢٠ ، ١٤١٨ هـ

ديوان الحكمة

الحكمة العملية

ليس من الممكنات أن تنقل
 إن ملكت النفوس فابغ رضاها
 يسكن الوحش للوثوب من الأسر
 فسمعنا عن الصبي الذي يعفو
 فإذا ما المملقون تولوه
 هكذا الدهر حالة ثم ضد
 فكبير ألا يسان كبير
 سنة الله في الممالك من قبل
 وكذاك النفوس وهي مراض
 ليس للذل حيلة في نفوس
 فيداري ليعصم الغد منهم
 أبو الخروج إليك من أوهامهم
 ومن العقول جداول وجماد
 إن الشجاعة في الرجال غلاظة
 والحرب يبعثها القوي تجبراً
 دعموا على الحرب السلام
 رقدوا وغرهم نعيم باطل
 كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم
 فما زلت بالأهوال حتى
 فولى وما ولى نظام جنوده
 ومن كان منسوباً إلى دولة القنا
 فقل لبان بقول ركن مملكة

شماً وأن تنال السماء
 فلها ثورة وفيها مضاء
 فكيف الخلائق العقلاء؟
 وطبع الصبا الغشوم والإباء
 تولى طباعه الخيلاء
 ما لحال مع الزمان بقاء
 وعظيم أن ينبذ العظماء
 ومن بعدهما لنعمى بقاء
 بعض أعضائها لبعض فداء
 يستوي الموت عندها والبقاء
 والمداراة حكمة ودهاء
 والناس في أوهامهم سجناء
 ومن النفوس حرائر وإماء
 ما لم تزنها رافة وسخاء
 وينوء تحت بلائها الضعفاء
 حقنت دماء في الزمان دماء
 ونعيم قوم في القيود بلاء
 ويذهب عنهم أمرهم حين يذهب
 وقد تركب الحاجات ما ليس
 وياً شؤم جيش للفرار يرتب
 فليس إلى شيء سوى العز
 على الكتائب بينى الملك لا

عود من السمر أو عود من
 حتى يكونوا من الأخلاق في أهب^{١١}
 وأشأم الرأي ما ألقاك في
 ومن تنزهه في الآجام لم يؤب^{١٢}
 إذا التبر انجلى شكر الترابا
 وكم من جاهل أثنى فعابا
 إذا رزق السلامة والإيابا
 ولكن من أحب الشيء حابي
 ولا كتجارة السوء اكتسابا
 إذا جوعتها انتشرت ذئابا
 ولم يحمل إلى قوم كتابا
 وإن طال الزمان به وطابا
 كمن فقد الأحبة والصحابا
 كحب المال ضل هوى وخابا
 سما وحمى المسومة العرابا
 فإن اليأس يخترم الشبابا
 ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
 إذا الإقدام كان لهم ركابا
 في أثر النير وفي ندبه
 يعجز بالشدة عن غصبه
 إذا هي اضطرت إلى شربه
 من ليس بالعاجز عن قلبه
 زمانكم لم يتقيد به
 إذا تحير فيها الدمع واضطربا

لا خير في منبر حتى يكون له
 وما السلاح لقوم كل عدتهم
 كرب تغشاهم من رأي ساستهم
 وانشئوا نزهة للجيش قاتلة
 وإن شكر المناجم محسنات
 وما أثبتت إلا بعد علم
 وكل مسافر سيئوب يوماً
 وما أدبي لما أسدوه أهل
 ولم أر مثل سوق الخير كسباً
 ولا كأولئك البؤساء شاءً
 ولولا البر لم يبعث رسولٌ
 وكل بساط عيش سوف يطوى
 ولا ينبيك عن خلق الليالي
 ومن يعدل بحب الله شيئاً
 قرب صغير قوم علموه
 ولا ترهق شباب الحي يأساً
 وما نيل المطالب بالتمني
 وما استعصى على قوم منال
 من يخلع النير يعش برهة
 ينال باللين الفتى بعض ما
 وفي احتشام الأسد دون القذى
 قد أسقطوا الطفرة في ملكه
 يارب قيد لا تحبونه
 لا تثبت العين شيئاً أو تحققه

كالحق والصبر في أمر إذا
إلى التعاون فيما جل أو حزبا
هيات يذهب سعي المحسنين هبا
وسهل الغد في الأشياء ما
هم نسين مجيئه بذهابه
خلد الرجال وبالفعال النابه
واستولت الدنيا على آدابه
ديباجتيه معمراً بخرابه
في الجو صائد بازه وعقابه
خلقت لسيف الهند أو لذبابه
بكريمتيه ولا مست بلعابه
قالوا بباطل علمهم وكذابه
أوهام مغلوب على أعصابه
لا تحت تاجيه وفوق وثابه
كالسيف نام الشر خلف قرابه
للدهر حسابا
إذا قيل طلاب الحقوق بغاة
تعنه عليها حكمة وأناة
ورب ثناء من لسان رفات
يمت كقتيل الغيد بالبسمات
أو خل عنك مواقف النصاح
هرم غليظ مناكب الصفاح
ترك الصراع مضعضع
إن الجواد يثوب بعد جماع^{١٤١١}

ولن ترى صحبة ترضى
إن الرجال إذا ما ألجئوا لجنوا
وكل سعي سيجزي الله ساعيه
كم صعب اليوم من سهل هممت
داء النفوس وكل داء قبله
من سره ألا يموت فبالعلا
ما مات من حاز الثرى آثاره
إلا فني يمشي عليه مجدداً
صادت بقارعة الصعيد بعوضة
وأصاب خرطوم الذبابة صفحة
طارت بخافية القضاء ورأت
لا تسمع لعصبة الأرواح ما
غلبوا على أعصابهم فتوهموا
المستبد يطاق في ناوسه
والفرد يؤمن شره في قبره
إنما العاقل من يجعل
ولا خير في الدنيا ولا في
ومن يسس الدنيا ثلاثين حجة
ويثني عليك الراشدون بصالح
ومن تضحك الدنيا إليه فيغترر
فامدح على الحق الرجال
ومن الرجال إذا انبريت لهدمهم
فإذا قذفت الحق في أجلاده
أدوا إلى الغازي النصيحة

كيف احتيالك في صريع الراح
 لم تعط غير سرا به اللماح
 لا ترج لا سمك بالأمر خلودا
 كالجهل داء للشعوب مبيدا
 أخطاه عنصرها فمات وليدا
 ألفت أحرار الرجال عبيدا
 قتل الرجال سلاحه مردودا
 إن الأبوة مفزع الأولاد
 أن العمار تحية الأمجاد
 وأسهل القول على من أراد
 فالفضل إن وزع بالعدل زاد
 ورب نسل بالندى يستفاد
 وصبا الدنيا عزيز مختصر
 سئم العيش ومن يسأم يذر
 مات بالجبن وأودى بالحر
 وقديماً ظلم الناس القدر
 مطر الخير فتياً ومطر
 شب بين العز فيها والخطر
 من أبو الشمس ومن جد القمر؟
 صار بحر العلم أستاذ العصر
 ليس فيمن غاب أو فيمن حضر
 ساعة الروع إذا الجمع اشتجر
 من يعش يحمد ومن مات أجر
 إذا لبسته وتبلى الحجر

إن الغرور سقى الرئيس براحه
 وإذا أخذت المجد من أمية
 مجد الأمور زواله في زلة
 إنني نظرت إلى الشعوب فلم
 لم يخل من صور الحياة وإنما
 وإذا سبى الفرد المساط مجلساً
 والعب بغير سلاحه فلربما
 نشكو ونفزع فيه بين عيونهم
 رفعوا لك الريحان كاسمك
 ما أصعب الفعل لمن رامه
 عدلاً على ما كان من فضلكم
 إن فاتك النسل فأكرم بهم
 فصبا الخلد كثير دائم
 كل يوم خبر عن حدث
 رب واهي الجأش فيه قصف
 قال ناس صرعة من قدر
 رب طفل برح البؤس به
 وصبي أزرى الدنيا به
 ورفيع لم يسوده أب
 كم غلام خامل في درسه
 ومجد فيه أمسى خاملاً
 إنما يسمح بالروح الفتى
 فهناك الأجر والفخر معاً
 فإن الحياة تقل الحديد

تشابه حامله والنمر
 وخبر فقد يؤتسى بالخبر
 فإن الزمان يقيم الصعر
 الضعف ولؤم المقدره
 فبالقتل المجرره
 يحميه إلا قسورة
 والمخالص المذكرة
 أرى العيش افتراقاً واجتماعاً
 دعائم العصر من ركنيه
 ولمن تحالفه شيع
 فقد ينبه من هجع
 ذهب الزمان فكم رجع
 إن الموفق من نفع
 أو تحاسب متسع
 كفلن اليتيم له في الصدف
 عيون الخرائد غير الخزف
 والحب يصلح بالعتاب ويصدق
 ويعز صيد الضيغم المفكوك
 والحق منصور على خذاله
 في الملك أقوام عداد رماله
 خاض الغمار دماً إلى أماله
 والمرء إن يجبن يعيش مردولاً
 يحرز ثميناً بيخلاً
 في الجواد المجزل

فيا رب وجه كصافي النمير
 فحدث فقد يهتدي بالحديث
 فدع كل طاغية للزمان
 وفي الرجال كرم
 من يبن ملكاً أو يذد
 عرينه مذكاً لا
 رب النيوب الزرق
 عسى الأيام تجمعني فإني
 وكل بنيان قوم لا يقوم على
 الناس للدنيا تباع
 لا تهجعن إلى الزمان
 لا تخل من أمل إذا
 وانفع بوسعك كله
 مافي الحياة لأن تعاتب
 إذا آخت الجوهري الحظوظ
 وإن أعرضت عنه لم يحل في
 اما العتاب فبالأحبة أخلق
 كل يصيد الليث وهو مقيد
 حق أعز بك المهيمن نصره
 شر الحكومة أن يساس بواحد
 والشعب إن رام الحياة كبيرة
 جبن أقل وحد من قدريهما
 حرصي عليك هوى ومن
 والشح تحدثه الضرورة

بالرق مثل الحنظل
 منظماً لم يحمل
 لك لم يفدك كمجمل
 أو ما بدا لك فافعل
 ألا تكون لأعزل
 بالزمان المقبل
 في ذي الحياة وبيتلي
 العيش غير مغفل
 يجهل عليه يجهل
 ووجدت شجعان العقول قليلا
 لم يخل من أهل الحقيقة جيلا
 قتل الغرام كم استباح قتيلا
 وهو الذي سيني النفوس عدولا
 ويريه رأياً في الأمور أصيلا
 فأقم عليهم مأتماً وعويلا
 رضع الرجال جهالة وخمولا
 وبحسن تربية الزمان بديلا
 لم تلق عند كماله تمثيلا
 لجهالة الطبع الغبي محيلا
 ثم انقضى فكأنه ما قتيلا
 من كان عندكم هو المخذولا
 كرم الشباب شمائلًا وميولا
 والناس مذ خلقوا عباد تمثال
 لم يبين ملك على جهل وإقلال

شهد الحياة مشوبة
 والقيد لو كان الجمال
 اسمع فرب مفصل
 صبراً لما تشفى به
 دنياك من عاداتها
 أو للغبي وإن تعلل
 جعلت لحر بيتلي
 يرمي ويرمي في جهاد
 مسـتجمع كالليث إن
 إن الشجاعة في القلوب كثيرة
 إن الذي خلق الحقيقة علقماً
 ولربما قتل الغرام رجالها
 فهو الذي يبني الطباع قويمه
 ويقيم منطق كل اعوج منطق
 وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
 وإذا النساء نشأن في أمية
 فأصاب بالدنيا الحكمة منهما
 إن أنت أطلعت الممثل ناقصاً
 إن المقصر قد يحول ولن ترى
 فلرب قول في الرجال سمعتم
 ولكم نصرتم بالكرامة والهوى
 كرم وصفح في الشباب وطالما
 والمال مذ كان تمثال يطاف به
 بالعلم والمال يبني الناس ملكهم

يفنى الزمان وينفذ الأجيالا
 والملك إن بطل التعاون زالا
 أدب في النفوس والأفعال
 كالسيف يزدهي بالصقال
 وأتاهم بقودةٍ ومثال
 قيمة العقد حسن بعض اللآلي
 ويقيم الرجال وزن الرجال
 أنزلتهم منازل الإجلال
 بكريم من الثناء وغالي
 جرح الأحبة عندي غير ذي ألم
 ورب منتصتٍ والقلب في صم
 وللمنية أسباب من السقم
 وإن بدا منها حسن مبتسم
 لولا الأمانى والأحلام لم ينم
 وتارةً في قرار البؤس والوصم
 إن يلق صاباً يرد أو علقماً يسم
 طغي الجياد إذا عضت على
 يمسك بمفتاح باب الله يغتنم^{١١}
 ما بين مستلم منه وملتزم
 إن العقاب بقدر الذنب والجرم
 والحرب أس نظام الكون
 تفاوت الناس في الأقدار والقيم^{١٢}
 كل اليواقيت في بغداد والتوم
 يد العدو فثم الجرح والألم

والعدل في الدولات أس ثابت
 حتى إذا انقسموا تقوض ملكهم
 أدب الأكثرين قولٌ وهذا
 يظهر المدح رونق الرجل
 ربُّ مدح أذاع في الناس فضلاً
 وثناء على فتى عم قوماً
 إنما يقدر الكرام كريم
 وإذا عظم البلاد بنوها
 توجت هامهم كما توجوها
 جددتها وكتمت السهم في كبدي
 لقد أناتك أذنأ غير واعية
 القاتلات بأجفان بها سقم
 يا نفس دنياك تخفي كل مبكية
 كم نائم لا يراها وهي ساهرة
 طوراً تمدك في نعمى وعافية
 كم ضاللتك ومن تحجب
 تطغى إذا مكنت من لذة وهوى
 لزممت باب أمير الأنبياء ومن
 فكل فضل وإحسان وعارفة
 جل المسيح وذاق الصلب شأنه
 دعوتهم لجهاد فيه سوؤدهم
 لولا مواهب في بعض الأنام لما
 دع عنك روما وأثينا وما حوتا
 كل الجراح بالأم فما لمست

إذا أساها لسان للعدى وفم
والظلم تصحبه الأهوال والظلم
في الحلم ما يسم الأفعال أو
فإن للسيف يوماً ثم ينصرم
إن المصائب مما يوقظ الأمم
دارسة والرسوم
مشي الشرارة في الهشيم
وحطموا ذل الشكيم
وكل بنيان علم غير منهدم
وسرت الحرب بين البهم والبهم
من لا يقيم ركنه العرفان لم يقيم
لم يبد للدنيا عليه نظام
إن البقية في غدٍ تلتام
ولكل شيء غاية وتمام
والدهر يقصر والخطوب تنام
ويهاب بين قيوده الضرغام
تبقى السيوف وتخذ الأقلام
ما للقاء وللفراق دوام
ساد البرية فيه وهو عصام
فإذا غفلن فما عليه ملام
عثرات أخلاق الشعوب قيام
ومن البروق صواعق وغمام
والسلم عهد والقتال زمام
رجعى إلى الأقدار واستسلام

والموت أهون منها وهي دامية
إن الذين تولوا أمرها ظلموا
لا تجزهم عنك حلماً وأجزهم
فجرد السيف في وقت يفيد به
صبراً على الدهر إن جلت مصائبه
ومدارس لا تنهض الأخلاق
يمشي الفساد بنبتها
كسروا به نير الهوان
فالسيف يهدم فجراً ما بنى سحراً
قد مات في السلم من لا رأى
وأصبح العلم ركن الآخذين به
والدين ليس برافع ملكاً إذا
لا تحفلن من الجراح بقية
جرت النحوس لغاية فتبدلت
تعبت بأمتك الخطوب فأقصرت
ولقد يداس الذئب في فلواته
يمضي وينسى العالمون وإنما
جمعتكما الأيام بعد تفرق
كم واثق بالنفس نهاض بها
والدهر لا يألو الممالك منذراً
ولقد يقام من السيوف وليس من
برق جوائبه صواعق كلها
البغي في دين الجميع دنية
من يضجر البلوى فغاية جهده

بعضا فقدماً جارت الأحكام
 فالحمد من سلطانها والذام
 عدل وملء كنانتيه سهام
 صبراً وصفحاً فالجناة كرام
 ما للبناء على السيوف دوام
 والعدل فيه حائط ودعام
 عز السيادة فالشعوب سوام
 عرض الحرائر ليس في سوام
 ما لحال مع الزمان دوام
 لترى الضيم أنها لا تضام
 والمعالي على النيام حرام
 قد تسيع المنية الأحلام
 ثم يضحى وناسه أعجام
 أن تمل لأرواح والأجسام
 كثير وفي الزمان كرام
 فللحق هبة وانتقام
 والعرض لا عز في الدنيا إذا
 ولا أرى لبخيل القوم وجداناً
 ومن الدور ما ترى أحزانه
 جعل القسط بينها ميزانه
 لك بالأمس هو اليوم خدين
 عسلاً قد بات يسقيك الوزين
 ويغول الربع ما غال القطين
 هل وراء الموت من حصن

لا يأخذن على العواقب بعضكم
 تقضي على المرء الليالي أو له
 من عادة التاريخ ملء قضائه
 هذا جناه عليكم أبأؤكم
 رفعوا على السيف البناء فلم يدم
 أبقي الممالك ما المعارف أسه
 الملك مرتبة الشعوب فإن يفت
 ضنوا بعرضك أن يباع
 هكذا الدهر حالة ثم ضد
 قد تعيش النفوس في الضيم
 نتم ثم تطلبون المعالي
 شر عيش الرجال ما كان حلماً
 ويبيت الزمان أندلسياً
 فملنا ولم يك الداء يحمي
 من يرد حقه فللحق أنصار
 لا تروغن نومة الحق للباغي
 ماتوا وعرضهم الموفور بعدهم
 أرى الكريم بوجدان وعاطفة
 قد رأينا عليك آثار حزن
 إن من فرق العباد شعوباً
 وكأي من عدو كاشح
 وولي كان يسقيك الهوى
 يمحي الميت ويبلو رسمه
 حصنوا ما شئتكم موتاكم

خبث ما قد فعلت بالشاربين
لا يعف الناس إلا عاجزين
لم ينالوا حظهم في النابغين؟
هم جمال الأرض حيناً بعد حين
وقديماً ملئت بالمرسلين
وبهم يزداد حسناً آفلين
ومضوا أمثلة للمحتدين
سبب العمران نظم العالمين
لقوي أو غني أو مبین
في المعالي وجسور العابرين
ميول النفوس وأضغانها
ولا همة القول عمرانها
وتقبل أخرى وأعانها
هي الشركات وأقطنها
من الباطل الحق عنوانها
من الناب والظفر برهانها
وتؤخذ من شفاة الجاهلينا
إذا ذهب مصادرها بقينا
فينتظم الصنائع والفنونا
إلى التاريخ خير الحاكمينا
فقد حب الغلو إلى بنينا
ولا يمضي جلال الخالدينا
وينبشه ولو في الهالكينا
بضائره إذا صحب المنونا

وأصول الخمر ما أزكى على
قسماً لو قدروا ما احتشموا
أرأيت الخير وافي أمة
يصلح الملك على طائفة
ملئوا الدنيا على قلتهم
يحسن الدهر بهم ما طلعا
قد أقاموا قدوة صالحة
إنما الأسوة - وللدنيا أسى -
سخر الناس وإن لم يشعروا
والجماعات ثنايا المرتقى
وقدماً أحاطت بأهل الأمور
وما القتل تحيا عليه البلاد
ولا الحكم أن تنقضي دولة
وأما الشريك فعلاته
وكم من أتاك بمجموعة
ودعوى القوي كدعوى السباع
وليس الخلد مرتبة تلقى
ولكن منتهى همم كبار
وسر العبقرية حين يسري
وآثار الرجال إذا تناهت
فغالي في بنيك الصيد غالي
جلال الملك أيام وتمضي
يحب المرء نبش أخيه حياً
يضر أخو الحياة وليس شيء

ولن ترى كجنود العلم إخوانا
 شتى القبائل أجناساً وأوطانا
 لا بالنهار ولا بالليل برهانا
 فلرب إخوان غزوا إخوانا
 وما البسلاء كالمستبسلينا
 والنفس إن قنطت فاليأس
 وخشية الله أس في مبانيها
 وكل شر يُوقى في نواهيها
 بل المروءة في أسمى معانيها
 فالنفس يسعدّها خلق ويشقيها
 واستغفرت كرمًا منها لشانيها
 ظهرت في المجد حسناء الرداء
 إنما السائل من لون الإناء
 واطلبوا الحكمة عند الحكماء
 بفصيح جاءكم من فصحاء
 وحيه في أعصر الوحي
 خلقت نضرتها للضعفاء
 هي ضاقت فاطلبوه في السماء
 لا يؤكل الليث إلا وهو أشلاء
 وآخرون ببطن الأرض أحياء
 لا يستوون ولا الأموات أكفاء
 كما مشى آدم فيهم وحواء
 وإن هموا طربوا
 ورشيد الكتب يبغيك الصوابا

يسير تحت لواء العلم مؤتلفاً
 العلم يجمع في جنس وفي وطن
 نور الحضارة لا تبغى الركاب
 ولئن غزاكم من ذوينا معشر
 وقد متنا ثباتاً واستماتوا
 لا يقرب اليأس في البأساء أنفسهم
 محبة الله أصل في مراشدها
 وكل خير يُلقى في أوامرها
 تسامح النفس معنى من
 تخلق الصبح تسعد في الحياة به
 والنفس إن كبرت رقت
 هل علمتم أمة في جهلها
 باطن الأمة من ظاهرها
 فخذوا العلم على أعلامه
 واقراءوا تاريخكم واحتفظوا
 أنزل الله على ألسنهم
 واحكموا الدنيا بسلطان فما
 واطلبوا المجد على الأرض
 لئن تمشى البلى تحت التراب به
 والناس صنفان موتى في
 تأبى المواهب فالأحياء بينهم
 لؤم الحياة مشى في الناس
 هكذا الكرام كرام
 صالح الإخوان يبغيك التقى

بليالي الدهر والأيام آبا
تجد الخلد من التاريخ بابا
رقعة الأرض ولا زادوا الترابا
عملاً أحسن أو قولاً أصابا
كلقيط عي في الناس انتسابا
يشتكى من صلة الماضي
إن للشر إلى الشر انجذاباً
وقصارى عاجز أن لا يهابا
أمعن الأبطال في الدهر احتجابا
أن الحياة كغدوة ورواح
فالشر حول الصارم المغمد
والمراء ما تعودا
بفضله وانفردا
لعمر ك ما في الليالي جديد
شكا في الثلاثين شكوى لبيد
إن الأديب مسامح ومداري
رق والعهد في الليالي تقسى
في خبيث من المذاهب رجس
لمشيت ومحسن لمخس
لجبان ولا تسنى لجبس
وهي خلق فإنه وهي أس
فقد خاب عنك وجه التأسى
كان إتقانه على القوم فرضا
كيف سام البلى كتابك فضا؟

رب من سافر في أسفاره
واطلب الخلد ورمه منزلاً
عاش خلق ومضوا ما نقصوا
أخذ التاريخ مما تركوا
مثل القوم نسوا تاريخهم
أو كمغلوب على ذاكرة
ولكل شيعه من جنسه
أوذيت هيبته من عجزه
ومن الأيام ما يبقى وإن
ينبيك مصرعه - وكل زائل -
فلا يغرنك سكون الملا
يأخذ ما عودته
مما انفردت في الورى
سنون تعاد ودهر يعيد
ومن صابر الدهر صبري له
وثبتت عن كدر الحياض عنانه
كلما مرت الليالي عليه
كل دار أحق بالأهل إلا
رب بان لهادم وجموع
إمرة الناس همة لا تأتى
وإذا ما أصاب بنيان قوم
وإذا فاتك التفات إلى الماضي
صنعة تدهش العقول وفن
أنت سطر ومجد مصر كتاباً

إن العروس كثيرة المتطلع
 إن الحجاب لمن لم يمنع
 لكن من يرد القيامة يفرع
 يبغى كما يبغى الجمال ويعشق
 ومن العقائد من يلبُّ ويحمق
 فالروح في باب الضحية أليق
 أزلية فيه تضيء وتغسق
 سيف الكريم من الجهالة يفرق
 إلا العفيف حسامه المترفق
 كما مالت من المصلوب عنق
 ولا يمضي لمختلفين فتق
 يد سلفت ودين مستحق
 إذا الأحرار لم يُسْفُوا وَيَسْفُوا؟
 ولا يدني الحقوق ولا يحق
 وفي الأسرى فدى لهمو وعتق
 بكل يد مضرحة يدق
 وعز الشرق أوله دمشق
 وكل أخ بنصر أخيه حق
 مات من في طرقات السيل ناما
 والقبر كالـدنـيا يخون
 يجزى الخلود المتقنون
 والنصح خالصه دين وإيمان
 ونحن في الجرح والآلام إخوان
 إن المصائب يجمعن المصابينا

بل ما يضررك لو سمحت بجلوة
 ليس الحجاب لمن يعز مناله
 فزعت وما خفيت عليها غاية
 والمجد عند الغانيات رغبة
 إن زوجوك بهن فهي عقيدة
 وإذا تنهى الحب واتفق الفدى
 ما العالم السفلي إلا طينة
 في الحق سل وفيه أغمد سيفهم
 والفتح بغي لا يهون وقعه
 وكم صيد بدا لك من ذليل
 فتوق الملك تحدث ثم تمضي
 وللأوطان في دم كل حر
 ومن يسقي ويشرب بالمانيا
 ولا بينى الممالك كالضحايا
 ففي القتلى لأجيال حياة
 وللحرية الحمراء باب
 جزاكم نو الجلال بني دمشق
 نصرتم يوم محنته أخاكم
 أيها الشرق انتبه من غفلة
 خانة أمانة جارها
 المتقنون وإنما
 نصيحة ملؤها الإخلاص
 ونحن في الشرق والفصحى بنو
 فإن يك الجنس يا ابن الطلح

إذا كان في علم النفوس رداها
 أن التهادي من دواعي الحب
 للمرء بين الناس من حسن الثنا
 والغواني يغرهن الثناء
 فالعذارى قلوبهن هواء
 نفار الطبي ليس له عقاب
 وقدما ضاع في الناس الصواب
 هل رأيت العيش إلا لعباً؟
 أهون الدنيا على من جربا
 وثررك المتمني كل حجاتي
 وللمواعيد ماءً لا يبيل صدي
 عليه قديم في الهوى وجديد
 كانت جنائتها على الأجساد
 والجرح إن تعترضه نسمة يثر
 إن الصغائر تغري النفس
 إن الفراق جهنم الأقدار
 مثل الرياض تحب في آذار
 ولكن نفس الحر أزر للحر
 وجدت مقال الهجر يزرى بأن
 ومن يهو يعدل في الوصال وفي
 فلا بد من يسر ولا بد من عسر
 يجد مرها في الحلو والحلو في
 فإني وجدت الكد أقتل للفقر
 يخنه الرفيق العون في المسلك

وأف على العلم الذي تدعونه
 وبعد فالمعروف بين الصحب
 فما رأيت في حياتي أزيها
 خدعوها بقولهم حسنا
 فاتقوا الله في قلوب العذارى
 ولو وجد العقاب فعلت لكن
 يلوم اللائمون وما رأوه
 أيها النفس تجدين سدى
 جربي الدنيا تهني عندك ما
 وخاتم الملك للحاجات مطلب
 دع المواعيد إنني مت من ظمأ
 ومن يحمل الأشواق يتعب
 وإذا النفوس تطوحت من لذة
 هجتن لي لوعة في القلب كامنة
 هلا ترفع عن لهو وعن لعب
 نظر الفراق إليكما فطواكما
 مثل الحياة تحب في عهد
 وما دفعي اللوام فيها سامة
 فقلت أخاف الله فيكن إنني
 أخذت بحظ من هواها وبينها
 إذا لم يكن للمرء عن عيشة
 ومن يخبر الدنيا ويشرب
 ومن كان يعزو بالتعلات فقره
 ومن يستعن في أمره غير نفسه

يعش مستباح العرض منتهك
 يبن فضله عنه ويعطل من
 كل النفوس رهائن الضر
 في صفوه والصفو في الكدر
 ويهون ما هونت من أمر
 أجمل الصنع ما يصيب افتقارا
 وأذى النصح أن يكون جهارا
 لا يبالي بحملهن صغارا
 مدمن الخمر لا يحس الخمارا
 خرج الرشد عن أكف السكارى
 فما البين إلا حادث متوقع
 تفرقها الأيام والسمط يجمع
 هو القلب كالإنسان يغري
 وأن خليل الغانيات مضيع
 تجيء بأحلام الرجال وترجع
 وكثرتها من كثرة الزهر
 زمان بهم من عهد سقراط مولع
 ليس للغانيات من ميثاق
 حنين القتل إلى القاتل
 آفة النصح أن يكون جدالا
 أن الحوادث مقلنة وقوام
 إن الشباب مزلة الأحلام
 قاد الشبيبة للهوى بزمام
 كانت بليتها على الأجسام

ومن لم يقم سترأ على عيب
 ومن لم يجمل بالتواضع فضله
 يا طير لا تجزع لحادثة
 يا طير كدر العيش لو تدري
 وإذا الأمور استصعبت صعبت
 حسن يا خيال صنعك عندي
 آفة النصح أن يكون لجاجا
 إن من يحمل الخطوب كباراً
 لم نفق منك يا زمان فنشكو
 فاصرف الكأس مشفقاً أو فواصل
 إذا كان في الآجل طولاً وفسحة
 وما الأهل والأحباب إلا لآلى
 لقيت عليمًا بالغواني وإنما
 وأعلم أن الغدر في الناس شائع
 وأن نزاع الرشد والغى حالة
 وأن أمانى النفوس قوائل
 وأن دعاة الخير والحق حربهم
 قلت ما هكذا المواثيق قالت
 ومن عبث العشق بالعاشقين
 لك نصحي وما عليك جدالي
 ما كنت أعلم - والحوادث جمة
 لا تعجلن وفي الشباب بقية
 إن الذي جعل القلوب أعنة
 وإذا القلوب استرسلت في غيرها

إن الظواهر تخدع الرائيينا
 يشيب الفتى في مصر قبل أوان
 وإن أكثروا أوصافه والمعانيبا
 وإن نوعوا أسبابه والدواعيا
 صدى السريرة والآداب يحكيها
 إذا عرضت للمرء لم يدر ما
 كما شقي المخمور بالسكر
 جعلوا المآثم حائط الأفراح
 فإذا تفرق كان بعض نباح
 ظهرت عليه سجية المناح
 إن الأناة سبيل كل فلاح
 وقضاء الله يأتي ويذر
 لك صافٍ وده بعد الكدر
 أو تكن حرباً فقد فات الضرر
 ومن الأوطان دورٌ وحفر
 إن للأخلاق وقعاً في الصغر
 والمدى في المجد دان لنفر
 ولكل أمرٍ غاية وقرار
 يمضي فيخلفه الأخير
 قد يخالفه العشير
 قال شر الدمع ما ليس يراق
 والمعالي بمطي وطرق
 قد يشيد الدول الشم والخلق
 نالت النجم يد الملتمس

لا تأخذن من الأمور بظاهر
 وما زلت في ريع الشباب وإنما
 وما الحب إلا طاعة وتجاوز
 وما هو إلا العين بالعين تلتقي
 والقول إن عف أو ساءت
 حبيبك ذات الخال والحب حالة
 وما العشق إلا لذة ثم شقوة
 وإذا الشعوب بنوا حقيقة ملكهم
 صوت الشعوب من الزئير
 وإذا منحت الخير من متكلفٍ
 سيروا إليها بالأناة طويلة
 يذر المرء ويأتي ما اشتهى
 كل محمول على النعش أخ
 إن تكن سلماً له لم ينتفع
 لجج الدماء أوطانكم
 رضع الأخلاق من ألبانها
 أبعد الساعون يبيغون المدى
 سكن الزمان ولانت الأقدار
 ما الناس إلا أول
 لقد اختلفنا والمعاشر
 قلت لكن جفنه غير جواد
 أموي للعلا رحلته
 بنيت من خلق دولته
 وإذا الأخلاق كانت سلماً

سنح السعد له والنحس
 بيد أن الدهر نباش بصير
 وكذا عمر الأمانى قصير
 فليس السلم عجزاً واتكالا
 وخيرهما لكم نصحاً وآلا
 ولا الدم كل أونةٍ حلالا
 نماها ونبيه أنسأها
 ولكنها ملك من نالها
 يعلو فم الثكلى وتغر الأيم
 والنفي حال من عذاب جهنم
 ليس كل الخيل يشهدن الرهانا
 ومن الرفعة ما حط الدخانا
 حاضر الخير على الخير أعانا
 كجميل الصنع بالشكر اقترانا
 لا الجيش يرفعه ولا الأسطول
 إن الوثاق على الأسود ثقيل
 واستبقه إن السيوف قليل
 وراحة المتململ
 الغابرين بمن سلى
 فقد الأحبة يذهل
 عاش غير مظلل
 والدهر بالناس من حال إلى
 كأنها غابة من غير رنبال
 لفاتك من عوادي الذل قتال

وإذا الخير لعبد قسما
 صدف خط على جوهرة
 لم يدع ظلا لقصر المنية
 وعيشوا في ظلال السلم كدأ
 ولكن أبعد اليومين مرمى
 وليس الحرب مركب كل يوم
 ورب امرئ لم تلده البلاد
 وليس اللألى ملك البحور
 وتبسم يعلو أسرتها كما
 لولا عوادي النفي أو عقباته
 واطلبوا بالعقریات المدى
 دركٌ مستحدث من درج
 يا أخي والذخر في الدنيا أخ
 هل ترى أنت فإني لم أجد
 والعدل يرفع للممالك حائطاً
 إلا حلت عن السجين وثاقه
 فاذكر أمير المؤمنين بلاءه
 والدمع مروحة الحزين
 نمضي ويلحق من سلا في
 حتى ذهلت ومن يذق
 من فاته ظل الشبيبة
 أصابها الدهر إلا في مآثرها
 إذا جفا الحق أرضاً هان جانبها
 وإن تحكم فيها الجهل أسلمها

كل امرئ لأبيه تابعٌ تالي
 مناهج الرشد قد تخفى على
 ما أبعد الحق عن باغٍ ومختال
 قرب مصلحةٍ ضاعت بإهمال
 ونومة هدمت بنيان أجيال
 ركن الممالك صدر الدولة
 أبى لها الله أن تمشي بأغلال
 ما تقدر النفس من حب وإجلال
 رأيت شبه عليم بين جهال
 إلى كهولٍ وشبانٍ وأطفال
 كالموت للمرء في حل وترحال
 إلا تركنا رفاتاً عند غربال
 إلا زكاة النهى والجاه والمال
 الخير والشر مثقالٌ بمثقال
 أن الحياة بآمالٍ وأعمال
 كالأم تبكي ذهاب النافع الغالي
 حياة لأقوامٍ ودنيا لأجيال
 بمعترض من حادث الدهر
 إذا الشيب سن البخل بالنفس
 وليس إذا الأعلام خانت بخذال
 وصول مساعٍ لا ملولٍ ولا آل
 ولا يجمعون الأمر أنصاف
 بياناً جزاف الكيل كالحشف
 فمن لجليل الأمر أو معضل
 " "

ما الدين إلا تراث الناس قبلكم
 ليس الغلو أميناً في مشورته
 لا تطلبوا ححكم بغياً ولا صلفاً
 ولا يضيعن بالإهمال جانبه
 كم هممةٍ دفعت جيلاً ذرا شرفٍ
 والعلم في فضله أو في مفاخره
 إذا مشت أمة في العالمين به
 يقل للعلم عند العارفين به
 ورب صاحب درس لو وقفت
 وتسبق الشمس في الأمصار
 وما علمت رفيقاً غير مؤتمن
 لم نأته بأخ في العيش بعد أخ
 لا ينفع النفس فيه وهي حائرة
 ما تصنع اليوم من خير تجده
 علمت كل نئوم في الرجال به
 كذلك الأرض تبكي فقد عالمها
 وبعض المنيا هممة من ورائها
 وكل شباب أو مشيب رهينة
 يسن الشباب البأس والجود
 عليكم لواء العلم فالفوز تحته
 إذا مال صف فاخلفوه بأخر
 ولا يصلح الفتيان لا علم عندهم
 وليس لهم زاد إذا ما تزودوا
 إذا جزع الفتيان في وقع حادث

نفوس الحواريين أو مهج الآل
 إن عبء الحياة كان ثقيلًا
 ملعبٌ لا ينوع التمثيلًا
 بيد للزمان تمحو الطلولا
 سوف يمشي البلى عليه محيلا
 ورزء نساك رزءاً جليلا
 على كف فارس مسلولا
 وصدر أصاره الحق غيلا
 وكم من جبان في اللدات مذم
 وما السهم إلا للقضاء المحتم
 وما خلق الإقبال إلا لمقدم
 ومن يقرض التاريخ يريح
 يعمر وإن لاقى الحروب ويسلم
 صععبته لأهلها الأحلام
 رب فردٍ سادت به أقوام
 أين من هامة السماك الخيام؟
 ما لأسدٍ على سغوب مقام
 فإذا فارقه ساد الطغام
 فإذا وليا تولى النظام
 لو أن قوماً حكموا الأحلاما
 ولا كالليالي رامياً يبعد المرمى
 ولا كلقاء الموت من بينها حتما
 وكم نازع سهماً فكان هو
 ولا العدل إلا حائط يعصم^١

ولولا معان في الفدى لم تعانه
 طرحوا عنده الهموم وقالوا
 إنما العالم الذي منه جننا
 ذكريات من الأحبة تمحي
 كل رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ
 رب ثكل أساك من قرحة الثكل
 وإباء الرجال أمضى من السيف
 رب قلبٍ أصاره الخلق
 وكم من شجاع في العداة مكرم^١
 رمت فأصابت خير رامٍ بها
 لحاه على الإقدام حساد مجده
 مفاخر للتاريخ تحصى لأدهم
 ومن يعط في هذي الدنية فسحة
 وإذا الداء كان داء المنايا
 مثلتهم صفاته للبرايا
 خيم الروس حول حصنك لكن
 فخرجتم إلى العدا لم تبالوا
 إنما الملك صارمٌ ويراعُ
 ونظام الأمور عقلٌ وعدلٌ
 الحق أبلج كالصباح لناظر
 ولم أر كالأحداث سهماً إذا
 ولم أر حكماً كالمقادير نافذاً
 أست جرحها الأنباء غير رفيقة^١
 وما الحكم إلا أولى البأس دولة^١

أو العرس أبلى في معالمه هدمًا
 جارات كل أسود فاحم
 الدنيا سوى ما رأيت أحلام نائم
 وراء الكرى إلى سن نادم
 لم يدم في النعيم والكرب حالم
 متأني الجنى بطى الكمائم
 وحوته على المدى يد قادم
 عليا المراتب لم تتح لجبان
 ماتوا على دين من الأديان
 جعلت لها الأخلاق كالعنوان
 قصر يريك تقاصر الأقران
 فالذكر للإنسان عمر ثاني
 ما شاء من ربح ومن خسران
 وهي المضيق لمؤثر السلوان
 نعمى الحياة وبؤسها سيان
 وما العربية إلا وطن
 ولا مد عمر الجبان الجبن
 قضى ويعيش إذا لم يحن
 وهبه بوادٍ غير واديك نائبا
 وإن بتما تستبعدان التلاقيا
 وإن جلت الأخلاق للعزم ثانيا
 وقدم كافور الخصى الطواشيا
 ألا إن عتق الخمر ينسى
 ملجأ، ولم يسلم من الحقد نازيا

إذا جال في الأعياد حل نظامها
 المنايا نوازل الشعر الأبيض
 ما الليالي إلا قصارٌ ولا
 انحسار الشفاه عن سن جذلان
 سنة أفرحت وأخرى أساءت
 إنما الهمة البعيدة غرسٌ
 ربما غاب عن يدِ غرسته
 والخلد في الدنيا وليس بهين
 فلو أن رسل الله قد جبنوا لما
 المجد والشرف الرفيع صحيفةٌ
 وأحب من طول الحياة بذلة
 فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
 للمرء في الدنيا وجم شئونها
 فهي الفضاء لراغبٍ متطلع
 فاصبر على نعمى الحياة
 يجأملك العرب النازحون
 وما في الشجاعة حتف الشجاع
 ولكن إن حان حين الفتى
 فلا يطوين الموت عهدك من
 أقام بأرض أنت لاقية عندها
 بصرت بأخلاق الرجال فلم أجد
 من العزم ما يحي فحولاً كثيرةً
 هياكل تقنى والبيان مخلدٌ
 ومن سابق التاريخ لم يأمن

عرفت الملاحى منهمو
 سدنا عليه صفحنا والتاسيا
 ولا يغنى عن الأخلاق شيئاً
 من الأخلاق إن صحبت غويا
 غليظ القلب أو فدماً غيباً
 من الميلاد ردهم عصيا
 إلى الحرية انساقوا هديا
 لنار الظالمين بها صليا
 يجد ظلم المنية عبقريا
 من الأحباب لا يحصى النعيا
 هيهات ما للعاريات دوام
 حاد لكل جماعةٍ وزمام
 ومثابة الأوطان حين تضام
 ولا ناب تمزق أو تفادى
 إذا هو حل في بلدٍ تعادى
 إذا قطع القرابة والودادا
 خدعنا النشء عنها والسوادا
 بهمةٍ أنفسٍ عظمت مرادا
 وأونة تعد له عنادا
 وبالخلق المثقفة الصعادا
 إذا البناء لم يعط اتئادا
 إذا ركبت له الهمم البعادا
 ومن شأن المجدد أن يعادى
 عليك إذا الولي سعى وكادا

إذا وضع الأحياء تاريخ جيلهم
 ألا كل ذنب لليالي لأجله
 وجدت العلم لا بينى نفوساً
 ولم أر في السلاح أضل حداً
 ورب معلم تلقاه فظا
 إذا انتدب البنون لها سيوفاً
 ورب معلمين خلوا وفاقوا
 أناروا ظلمة الدنيا وكانوا
 ومن يفجع بحر عبقري
 ومن تتراخ مدته فيكثر
 كم نستعير الآخرين ونجتي
 العلم في سبل الحضارة والعلا
 باني الممالك حين تنشد بانياً
 ومن لقي السباع بغير ظفر
 هنيئاً للعدو بكل أرض
 وبعداً للسيادة والمعالي
 ورب حقيقة لا بد منها
 ولو طلوعوا عليها عالجوها
 تعد لحادث الأيام صبراً
 وتخلف بالنهاى البيض
 ولا ترجى المتانة في بناءٍ
 ولم يبعد على نفس مرام
 وعودي دونها حتى بناها
 يهون الكيد من أعدى عدو

همم ذهبين يرمن كل مرام
 أو جامح يعدو بنصف لجام
 والحق نعم مثبت الأقدام
 وهو الديار وراء كل غرام
 بالصبر أونة وبالإقدام
 خدع الثناء ولا عوادي الذام
 يجدون نقصاً عند كل تمام
 لم ينل منه من وشى وتجنى
 كل من شك ساعة أو تظنى
 وهو باقٍ على المدى ليس يفنى
 ذكر الخيرين فاهتجت حزنا
 له إن أقام أو سار وزنا
 هملاً لم تهب لناعيه أذنا
 إنما يحسد العظيم ويشنا
 لم يقلل له الجديدان شأننا
 ويفنى الزمان قرناً فقرنا
 عادة الفطن بالذخائر يعنى
 والمرء بالقريب معنى
 فاشهد لقائدها وللمتجنّد
 واقرن به شكر الأجير المجهد
 ضل من في مدرج السيل رقد
 على الأيام قد صار اقتراحا
 فشر الناس أكثر هم خصوما
 ومعنى البر في لفظ الزكاة

في كل حاضرة وكل قبيلة
 من كل ممتنع على ألسانه
 الحق كل سلاحهم وكفاحهم
 تاقوا إلى أوطانهم فتحملوا
 شرفاً محمد هكذا تبنى العلا
 همم الرجال إذا مضت لم يثنها
 وتمام فضلك أن يعيبك حسدٌ
 وإذا الخلق كان عقد ودايد
 واسع الساح يرسل الفكر فيها
 سوف تفنى في ساحتك الليالي
 رب خير ملئت منه سروراً
 رب عاث في الأرض لم تجعل
 عاش^{اً} لم ترمه بعين وأودى
 شغلهم عن الحسود المعالي
 كم قديم كرقعة الفن حر
 وجديدٍ عليه يختلف الدهر
 فاحتفظ بالذخيرتين جميعاً
 أسرة الشاعر الرواة وما عنوه
 وإذا طعمت من الخاية شهدها
 لا تمنح المحبوب شكرك كله
 أنت في مدرجة السيل وقد
 ومن يصبر يجد طول التمني
 ولا تستكثرن من الأعداي
 لكل جني زكاة في الحياة

فإذا فاتك هذا فافتراق
 ليس للأعمى على الضوء هدى
 فامتنع عن كل تحصيل عقيم
 كم مع الجهل يسار وغنى
 التجار يب علوم الفهم
 كل يوم فيه للعبرة باب
 من يخن أوطانه يوماً يخن
 كل حب شعبه من حبه
 كل شيء بجزاءٍ وثمان
 فتشبه إن من يقدم يسد
 إنما من ينصر الحق البطل
 فدع الأقدار تجري واستعد
 لا تعارض أبداً مجرى الأمور
 فرحيم سوف يجزى من رحيم
 قديماً جمل المرء الأدب
 إن ضيق الرزق من ضيق
 فاترك الكبر له والجبروت
 كم حسودٍ قد توفاه الكمد
 طالب الحق بعنفٍ معتدٍ
 كم مطيع لهوى النفس هوى
 بيد أن العيش درسٌ واطلاع
 إن عزرائيل في حلق النهم
 ما درى اللذة من لم يعشق
 إلا وهونه القياس وصغرا

عند أهل العلم للعلم مذاق
 طلب المحروم للعم سدى
 فإذا فاتك توفيق العليم
 واطلب الرزق هنا أو هاهنا
 كل ما علمك الدهر أعلم
 إنما الأيام والعيش كتاب
 كن إلى الموت على حب
 قد عرفت الدار والأهل به
 يقبل الناس على الشيء الحسن
 إن للإقدام ناساً كالأسد
 وابل سقراط والشجعان طل
 كل حالٍ صائرٌ يوماً لصد
 فلك بالسعد والنحس يدور
 من يمت عن منةً عند يتيم
 عامل الكل بإحسان تحب
 وتجنب كل خلق لم يرق
 كل حي ما خلا الله يموت
 وأرح جنبك من داء الحسد
 أطلب الحق برفقٍ تحمد
 واعص في أكثر ما تأتي الهوى
 ليس لي في طب جالينوس باع
 احذر التخمة إن كنت فهم
 وتعشق وتعفف واتق
 ما جل خطب ثم قيس بغيره

وأرى النعيم نعيم عمرٍ مقصرا
للنفس أن ترضى وألا تضجرا
أمنتمو الأيام أن تتغيرا
ما تملك الأقدار مهما قدرا
فلرب ماشٍ في الحرير تعثرا
قديمة والجهل بنس الدليل
خلدوا على جنباته أسماء
تجد الحياة من الجمال خلاء
قد عالجت بالواحة الصحراء
فتصيب ظلاً أو تصادف ماء
يجري السلامة أو يدق الداء
أو زاف كانت ظاهراً وطلاء
تبنى الرجال وتبدع الأشياء
كل مولودٍ وإن جل ضئيل
روت الشعب ولم تنس النخيل
كل نفس بكتابٍ وسبيل
لجليل العمل العون الجليل
ويبقى الأنام اثنين ميتاً وناعياً
وما يجزيهمو إلا كلاما
لنال بحد صارمه الدواما
إلا ملاكاً مقرباً
عليهن غاوٍ أو يسير رشيد
ليس التوسط للنبوغ سبيلا
وزن الحديد بها فعاد ضئيلا

أجد الحياة حياة دهر ساعة
وأعد من حزم الأمور وعزمها
يا أيها السجناء في أموالهم
لا يملك الإنسان من أحواله
لا يبطرنك من حرير موطئ
جناية الجهل على أهله
والفن ربحان الملوك وربما
جرد من الفن الحياة وما حوت
بالفن عالجت الحياة طبيعة
تأوي إليها الروح من رمضائها
نبض الحضارة في الممالك
إن صح فهي على الزمان
إن التعاون قوة علوية
لا يضرركموا قاتته
رب عينٍ سمحةٍ خاشعة
لا تماروا الناس فيما اعتقدوا
رجل الأمة يرجى عنده
نبيد كما بادت قبائل قبلنا
وما عذر المقصر عن جزاء
فلو كان الدوام نصيب ملك
لا أجسد المسعف
وللناس في الماضي بصائر
كن سابقاً فيه أو أبق بمعزل
تلك الحياة وهذه أثقالها

والخير أفضل عصبه ورفاقا
لما ساد الشعوب ولا استقلوا
فإن الخير حظ المستشير
قد فطر الطفل على الأناية
فإن السباع كما تفر
فإن الذئب به تفر
يؤملك الكل أو يحذر
سلام عليك إذا تسعر
سارت على نهج البدور
كم لاعب في الزاهدين لاه
ما نطقته ألسن التجريب
ومصرع العصفور في المنقار
مقالة العارف بالأسرار
يا سعدمن من صافي وصوفي
حفظت عمراً لو حفظت
وكذا الأنفس يصيبها النفيس
تكفي وشغل عظيم
تواكل يوم هموم
وجه الغراب مشوم
لا يدفع العدو بالعدو
ثم احفروا على الطريق هوة
ملامة المغرور
من خاف فسلم
فالذي في الغيب أعظم

وعصابة بالخير ألف شملهم
ولولا المحسنون بكل أرض
على لو استشرت أباك قبلاً
فقل لمن يجهل خطب الآنية
فلا ترج سلماً من العالمين
ومن يعدم الظفر بين الذئاب
فإن شئت تحيا حياة الكبار
فخذهاك بندقة نارها
إن الأهله إن سرت
ما كل أهل الزهد أهل الله
وخير ما ينظم للأديب
فصليت في الفخ نار القاري
وهتفت تقول للأغرار
إن خفي النافع فالنفع ظهر
لا عجب إن السنين موقظة
فاشتهت من لحمه نفس الرئيس
لكل يوم خطوب
ألم أقل لك
فإن قومي قالوا
فقل لا يا صاحب السمو
اجتمعوا فالاجتماع قوة
إن من الغرور
ليتني سلمت فالعاقل
صاح لا تخش عظيما

وأذاهُ وغيبةُ وانتحال
 ورضا الكل مطلبٌ لا ينال
 لا يؤدي إليه إلا الكمال
 قول العارفينَا
 من حفظ الأعداء يوماً ضاعا
 وغاية المستعجلين فوته
 ما أدب النعجة إلا صبرها
 أكذب ما يلقى الكذوب إن صدق
 لا يترك الله ولا يعفى نبي
 هيهات لا تجدي الندامة
 من خان خانتته الكرامة
 وقائدٌ يهديه للسعادة
 والله للساعين نعم العون
 والحمق داءٌ ماله دواء
 ملكت نفسي لو ملكت منطقي
 الناس بالناس ومن يعن يعن
 والفضل بعضه لبعض مرخص
 إذ ربما ينخدع الثعلب
 بالصدق ما جاء من الأعداء
 في الناس من ينطقه مكانه

إنما هم حقدٌ وغيثٌ وبغضٌ
 فرضا البعض فيه للبعض
 ورضا الله نرتجيه ولكن
 أنهم قالوا وخير القول
 فقلت في المقام قولا شاعا
 لكل شيء في الحياة وقته
 لكل حال حلوها ومرها
 قد قال في هذا المقال من سبق
 من كان ممنوا بداء الكذب
 فبكت لـذاك تنـدما
 لكن كفاك عقوبة
 سعي الفتى في عيشه عباده
 لأن بالسعي يقوم الكون
 فبرزت من عشها الحمقاء
 تقول قول عارف محقق
 هذا هو المعروف يا أهل الفطن
 كذا القليل بالكثير ينقص
 فلا تثق يوماً بذئ حيلةٍ
 وذاك أن أجدر الثناء
 ما كنا ينفعه لسانه

المسرحيات الشعرية

مسرحية عنزة

وفي البيد رد لأبائه
حسدتي الدنيا عليه
أحاديث لفقها حسدي
حذار يا وغد حذار يا لكع
يا قوم لم أفهم ندائكم اعزبوا
وليس إلى الأمهات الولد
وكل محسود خطير
وقد يخلق الحاسدون الريب
الليث لا يقتله الكلب فدع
إذ ليس في لغة الأسود نباح

مسرحية مجنون ليلى

وليس بنافعه الواصلون
قائلون عند امتناع القطاف
ومن زار بالنائحات المريض
إن الحبيب نعيه
وليس بضائره من هجر
كثيرون عند رجاء الثمر
وأهل المريض لأضاع الأدب
إلى المحب معضله

مسرحية مصرع كليوباترا

وغداً يعلم الحقيقة قومي
وإذا فرق الرعاة اختلاف
ولد بالأناة فإن الأنا
وتحسب في الكتب علم الحيا
إن المنى لم تقصر
ولكن شقي الحرب والمصطلي
ولولا اختلاف الحرب بالناس لم
ملأت سبيلي بالهوى وصروفه
ليس شيء على الشعوب بسر
علموا هارب الذئب التجري
ة صديق الصواب عدو الخطا
ة وما منه في الكتب إلا شدا
بل قصر المتمني
إذا هي انفضت الطريد المشرد
عزيز ولم ينزل على القيد سيد
ومن يمش في أرض الهوى

فخفت ومن يركب شفا الجرف
يقولون حكم الله يا نفس
قم ، في الخبث دون سموم
ن ، وليس يعيب السهام القصر
لب، ليس التماوت فعل السباع
أينهى ويأمر من لا يطاع؟
يعد الخطأ أو يحسب العثرات
فوجدت للدنيا خمار زوال
كأسي وفضت سامري ونقالي
وأيدي المنايا للقيود كواسر
وفي الحرب إن لم تردع السلم

غويت وأوفى بي من حفرة
وماذا يقول العاجزون إذا
تكلّم فليست سموم الأرا
قصار وهن سهام المنو
وأن التماوت فعل الثعا
قيصر لا إذن لـي
ومن يمش في ورد الأمور
وصحوت من لعب الحياة
وطئت بساطي الحادثات وأهرقت
ترفعت عن قيدي ومت عزيزة
زجرت فلم أسمع فقاتلت مكرها

مسرحية علي بك الكبير

وكل كبير سوف يسود
خفوف الأسد الضاري
سفار القمر الساري
أن اللبابة تحوط الغاب أحيانا
إن القذارة شيمة الأذئاب
عند البلاء دمي، أو ماله مالي
لوساوس الشهوات والأحقاد
حتى تحطم نابيه
فقل كل شيء لهم قد فسد
تعثر بالهادم المجتهد
كم قد شغلناهم وشغل بغائب

لك الله يا آمال ، أنت كبيرة
فالغنم والصيد
وللرفععة والمجد
واحمي حمى الليث في أيام
ذنب فلا تجعله شغلك سيدي
ما النجدة الحق إلا صاحب دمه
لا يا علي اسمع نهاك ولا تصخ
لا تحوي دارك أرقمأ
إذا فسد الخلق في أمة
إذا قام بان إلى غاية
كذلك فضول الناس شغل



الحكمة النظرية

حجب الليل ضوءها عمياء
 تراه مستعذباً وهو داء
 فمن العدل أن يهول الجزاء
 كالسيف لم تضرب به الآراء
 وأخف من بعض الدواء الداء
 والله يفعل ما يرى ويشاء
 بغوا فالمجد مما يدعون براء
 برد ففيه كتيبة خرساء
 وإن هو نام استيقظت تتألب
 ولكن خلقاً في السباع التأهب
 فقد يشتهي الموت المريض
 الحق عندهم معنى من الغلب
 تساوت الأسد والنؤبان في الرتب
 بقاتلات إذا الأخلاق لم تصب
 في الهدم ما ليس في البيان من
 إذا أخلاقهم كانت خراباً
 إذا طال الزمان عليه طاباً
 وغاية كل صفو أن يشاباً
 كشاف من طبائعها الذئاباً
 وللأخلاق أجدر أن تهاباً
 من ينكر الفضل على ربه
 في الصبر للدهر وفي عتب
 كالصبح للناظر في قربه

لم يكن ذلك من عمي كل عين
 وسرى في فؤاده زخرف القول
 وإذا جلت الذنوب وهالت
 والرأي لم ينض المهند دونه
 داويت متئدا وداووا ظفرة
 فضل عليك لذي الجلال ومنه
 والحرب من شرف الشعوب
 والحق والإيمان إن صبا على
 تنام خطوب الملك إن بات
 ولم يتكلف قومك الأسد أهبة
 فإن يجدوا للنفس بالعود راحة
 لا تلتمس غلباً للحق في أمم
 لو كان في الناب دون الخلق
 ولا المصائب إذ يرمي الرجال
 وكم بنيت بهم مجداً فما نبسوا
 وليس بعامر بنيان قوم
 وأن المجد في الدنيا رحيق
 جرى كدرأ لهم صفو الليالي
 وشافي النفس من نزعات شر
 وكان جنابهم فيها مهيباً
 وليس بالفاضل في نفسه
 فإن أنستم فليكن أنسكم
 ومطلب في الظن مستبعد

ما دام هذا الغيب في حجبه
 وفاز بالحق من لم يأله طلبا
 إذا سدت عليك الشك والريب
 أو فاحشـدن رماح الخط
 إن الصغائر ليست للعلا أهيا
 سيان من غلب الأيام أو غلبا
 فاحكم هنالك أن العقل قد ذهب
 كل امرئ رهن بطى كتاب
 عند اللقاء كمن يموت بنابه؟
 أو لم ينم فالطب من أذنايه
 أتت الحياة وشغلها من بابيه
 وتضيق عنه على قصير عذابه
 كثير النهار عليه في إنعابه
 ودواء هذا الجسم من أوصابه
 وبما يجل الناس من أنسابه
 وينام ملء الجفن عن غيابه
 هي من ضنائن علمه وغيابه
 الله والناس ثوابا
 كل من ألقى خطابا
 عش من الصناع خابا
 تجزه إلى أعدائه الرميات
 وأحق منك بنصرة وكفاح
 إلا كما تلد الرمام الدودا
 ماكان سهم المبطلين سديدا

واليأس لا يحمل من مؤمن
 أعدت الراحة الكبرى لمن تعب
 والصبح يظلم في عينيك ناصعه
 إذا طالبت عظيماً فاصبرن له
 ولا تعد صغيرات الأمور له
 لا تعدم الهمة الكبرى جوائزها
 إذا رأيت الهوى في أمة حكماً
 في الموت ما أعيأ وفي أسبابه
 أسد لعمر كمن يموت بظفره
 إن نام عنك فكل طب نافع
 النفس حرب الموت إلا أنها
 تسع الحياة على طويل بلائها
 هو منزل الساري وراحة رائح
 وشفاء هذي الروح من آلامها
 قل للمدل بماله وبجاهه
 هذا الأديم يصد عن حضاره
 الروح للرحمن جل جلاله
 إن للمـتقن عند
 ليس بالأمر جديراً
 ترعش الأيدي ومن ير
 ومن يك في برد النبي وثوبه
 الحق أولى من وليك حرمة
 الجهل لا يلد الحياة مواته
 الحق سهم لا ترشه بباطل

باغ على النفس الضعيفة عاد
 غنى الأصيل بمنطق الأجداد
 وفقت نشر العلم مثل الجهاد
 نهاية النجم المغير
 ذك القواعد من ثبير
 وأرى الصنديد فيه من صبر
 وأخف العيش ما ساء وسر
 كمصاب الأرض في الزرع
 وبعض العقائد نير عسر
 وراءها من أثره
 ليس الأمور ترثره
 الأولوية المنشوره
 فليس يلحق أهل السير
 إن المقص خفيف حين يقطع
 فالصبر ينفع ما لا ينفع الجزع
 كلتاهما في مفاجأة الفتى شرع
 لا تعلم النفس ما يأتي وما يدع
 إلا سراب على صحراء يلتمع
 فيما يبلغها حمداً فتندفع
 أن يلتم به الجزع
 وغير الثراء وغير الترف
 إذا هو باللؤم لم يكتنف
 إذا الحظ لم يهجر المحترف
 فما عرف الفضل فيما عرف

إن المغالط في الحقيقة نفسه
 او دع لسانك واللغات فربما
 يا ناشر العلم بهذي البلاد
 سموه يلدز والأفول
 إن القضاء إذا رمى
 لا أرى الأيام إلا معركاً
 ما أرى في العيش شيئاً سره
 فمصاب الملك في شبانه
 وأبليس في نيره العالمون
 وفتنة الرأي وما
 إن الأمور هممة
 ما الملك إلا في ذرى
 هل تنهضون عساكم تلحقون به
 لا يعجبكم ساع بتفرقة
 وأجملوا الصبر في جد وفي
 كم في الحياة من الصحراء من
 وراء كل سبيل فيهما قدر
 وما الحياة إذا أظمت وإن
 وما البطولة إلا النفس تدفعها
 وارباً بحلمك في النوازل
 فإن السعادة غير الظهور
 ولكنها في نواحي الضمير
 وما الرزق محتجب حرفة
 ومن نسي الفضل للسابقين

إلى من تعهد أو من قطف
 صفو يحيط به وأنس يحدق
 طلب الحقوق بواجب متروك
 حتى يؤيد قوله بفعاله
 لا السخي بقبله أو قاله
 كيف الحياة على يدي عزريلا
 تجدوهم كهف الحقوق كهولا
 روح العدالة في الشباب ضئيلا
 جاءت على يده البصائر حولا
 ومن الغرور فسمه التضليلا
 هم الحياة وخلفاه ذليلا
 أمأ تخلصت أو أبأ مشغولا
 أجد الثبات لكم بهن كفيلا
 أو الممالك فاندبها كأطلال
 خذها من العلم أو خذها من
 حتى يريك المستقيم محال
 والصدق أليق بالرجال مقالا
 والنصح أضيع ما يكون جدالا
 والعقل إن هو ضل كان عقالا
 غلب الجبان على القنا الأبطال
 وتضاع الأمور بالإهمال
 إذا رزقت التماس العذر في
 لو شفقك الوجد لم تعذل ولم تلم
 الموت بالزهر مثل الموت

ولا بد للغرس من نقله
 هل دون أيام الشبيبة للفتى
 بالواجب التمس الحقوق وخاب
 والمرء ليس بصادق في قوله
 شكر الممالك للسخي بروحه
 الجهل لا تحيا عليه جماعة
 ربوا على الإنصاف فتيان
 وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى
 وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة
 وإذا أتى الإرشاد من سبب
 ليس اليتيم من انتهى أبواه من
 إن اليتيم هو الذي تقلى له
 ما أبعد الغايات إلا أنني
 إذا جفا الدور فافع النازلين بها
 يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً
 والظن يأخذ في ضميرك مأخذاً
 أمم الهلال مقالة من صادق
 متلطف في النصح غير مجادل
 ضلوا عقولا بعد عرفان الهدى
 لو أن أبطال الحروب تفرقوا
 وتضاع البلاد بالنوم عنها
 رزقت أسمح ما في الناس من
 يا لائمي في هواه - والهوى
 لا تحفلي بجناها أو جنايتها

والنفس إن يدعها داعي الصبا
 فقوم النفس بالأخلاق تستقم
 والنفس في شرها في مرتع
 ورب أصل لفرع في الفخار
 ومن يبشر بسيمى الخير يتسم
 يغري الجماد ويغري كل ذي
 وما الأمين على قولٍ بمتهم
 ومن يفز بحبيب الله يأتهم
 ومن يضم جناح الله لا يضم
 وصادق الحب يملى صادق
 يغبط^{١٢١} وليك لا يذمم ولا يلم
 كغرة النصر تجلوا داجي الظلم
 فابعث من الجهل أو فأبعث من
 ذرعاً^{١٢٢} وإن تلقه بالشر ينحسم
 من مات بالعهد أو من مات بالقسم
 ومن يجد سلسلاً من حكمةٍ يحم
 وحائط البغي إن تلمسه ينهدم
 دار السلام لها ألفت يد السلم
 جعلت فيهم لواء البيت والحرم
 في الصبح صحبتهم مرعية
 فليس تكتهم ما ليس ينكتم
 أن يعلم الشامتون اليوم ما علموا
 وثالث يتلافى منه ما انهدما
 ولا يرى بيد الأرزاء منفصما

هامت على أثر اللذات تطلبها
 صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
 والنفس من خيرها في خير
 نموا إليه فزادوا في الورى
 يسامر الوحي فيها قبل مهبطه^{١٢٣}
 إن الشمائل إن رقت يكاد بها
 لقبتموه أمين القوم في صغر
 صلى وراءك منهم كل ذي
 توأرياً بجناح الله واستترا
 مديحه فيك حب خالص وهوى
 وإنما أنا بعض الغابطين ومن
 بدر تطلع في بدر فغرته
 والجهل موت فإن أوتيت
 والشر إن تلقه بالخير ضقت به^{١٢٤}
 كم في التراب إذا فتشت عن
 غراء حامت عليها أنفس ونهى^{١٢٥}
 لا يهدم الدهر ركناً شاد عدلهم
 دار الشرائع روما كلما ذكرت
 وصل ربي على آل له نخب
 وأهد خير صلاة منك أربعة
 موه على الناس أو غالطهم
 من الزيادة في البلوى وإن
 والناس باني بناءٍ أو متممه
 تعاون لا يحل الموت عروته

فكل شيء على أثارها سلما
 فإن تولت مضوا في إثرها قدما
 وهل ينام مصيب في الشعوب دما؟
 إذا رعى صلةً في الله أو رحما
 العلم من غير العليم
 بالنشء كالمرض المنيم
 عليه بالحلم الأليم
 والممالك من قديم
 أحلوا غير مرماها السهاما
 إن القوى عز لهم وقوام
 والعلم لا ما ترفع الأحلام
 حتى يحوط جانبيه حسام
 يحيا لدى التاريخ وهو عظام
 حتى يهز لواءها مقدام
 وقيود هذا العالم الأوهام
 نظرت بغير عيونهن الهام
 لا الكتب تدفعه ولا الأقلام
 دخلوا على الأسد الغياض
 فأمشوا بنور العلم فهو زمام
 فالمجد كسب والزمان عصام
 كالزهر يخفي الموت وهو زوام
 عرض من الدنيا بدا وحطام
 حلت محل القدوة الأصنام
 ومن الحرير شكيمة ولجام

إذا المقاتل من أخلاقهم سلمت
 وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
 نتم على كل ثار لا قرار له
 فما على المرء في الأخلاق من
 والجهل حظك إن أخذت
 ولرب تعليم سرى
 يتلبس الحلم اللذيذ
 والعلم بناء المآثر
 إذا الرمة رمة سوء
 زدهم أمير المؤمنين من القوى
 الملك والدولات ما بينى القنا
 والحق ليس - وإن علا -
 مات من نبل الرجال
 ما السفن في عدد الحصى
 وهم يقيد بعضهم بعضا به
 صور العمى شتى وأقبحها إذا
 ما ليس يدفعه المهند مصلاتا
 إن الألى فتحوا الفتوح جلائلا
 فإذا جرى رشداً ويمناً أمركم
 ودعوا التفاخر بالتراث وإن
 إن الغرور إذا تملك أمة
 لا يعدلن الملك في شهواتكم
 ومناصب في غير موضعها
 ومن البهائم مشبع ومدلل

يحصى مدى المستقبل المقدم
 أنها الشمس ليس فيها كلام
 لمنايا أسبابهن العظام
 فعش نهارك في دنياك إنسانا
 وهو الأوطان للأحرار دين؟
 جوهر الود - وإن صح -
 ما يزيد الميت وزناً ويزين
 في الثرى غفلاً كبعض
 تجد التاريخ في المنخدعين
 جيء بالأباء مغمور رهين
 أصله مسك وأصل الناس طي
 هل يزكي الذبح غير الذابحين
 والعقد قيمته يتيم جمانه
 والمرء ذو أثر على أقدانه
 ليس الشجاع الرأي مثل جبانه
 والحر يصدق في هوى أوطانه
 مصير الأمور وأحيانها
 شعور النفوس ووجدانها
 رعاة العهود وخوانها
 وبالعلم تشدد أركانها
 وتركك في ماسمعا طنيننا
 وبورك في الشباب الطامحين
 نطالب بالكمال الأولينا
 وأرى الجرى على الشرور

يحصى الدليل مدى مطالبه ولا
 هل كلام العباد في الشمس إلا
 إن للوحش والعظام مناهها
 إن الحياة نهار أو سحايبته
 لا تلوموها أليست حرة
 فإذا استكرمت وداً فاتهم
 ليس في قبر وإن نال السها
 فانزل التاريخ قبراً أو فتم
 واخدع الأحياء ما شئت فلن
 نسب البدر أو الشمس إذا
 لا يقولن امرؤ أصلي فما
 ومن المكر تغنيك بها
 هم نظم حليته وجوهر عقده
 ناد الشباب فلم يزل لك نادياً
 ألق النصيحة غير هائب وقعها
 ولقد صدقتم هذه الأرض الهوى
 وعند الذي قهر القيصرين
 فإن الليالي عليها يحول
 ويختلف الدهر حتى يبين
 ولكن على الجيش تقوى البلاد
 وأخذك من فم الدنيا ثناء
 شباب قنع لا خير فيهم
 فإن لم نوق النقص حتى
 إن الشجاع هو الجبان عن

أن نذكر الإصلاح والإحسانا
وحسب نفسك إخلاص يزكيها
إلى اختلاف البرايا أو تعاديبها
خزائن الحكمة الكبرى لواعيتها
وادخر في الصحب والكتب اللبابا
من كتاب الله في الإجلال قابا
نجح الراغب في الذكر وخابا
فالصفو ليس على المدح بمتاح
حتى تقلدها كريم نجار
حسن التكرم فيه والإيثار
في نشر مكرمةٍ وستر عوار
فيه يبدو وينجلي تحت لبس
طالت الحوت طول سبح وغسّ
أو غريقٍ ولا يُصاحُ لحسّ
ويسوم البدور ليلة وكس
بلغتها الأمور صارت لعكس
بقيامٍ من الجدود وتعس
لظظت كل رب (روم)
فلاً يغني الحرير ولا الدمقس
والخز أكفان إذا لم ينزع
إن العبادة خشية وتعلق
والحظ إن بلغ النهاية موبق
والأصل في الصور السكون
لآب بالواحد المبكى ثكلان

ومن المروءة - وهي حائط
قوم على الحب والإخلاص قد
مأ كان مختلف الأديان داعية
الكتب والرسل والأديان قاطبة
فتخيرها كما تختاره
غال بالتاريخ واجعل صفحه
ومن الإحسان أو من ضده
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها
إن الصنيعة لا تكون كريمة
والحب ليس بصادق ما لم يكن
والشعر إنجيل إذا استعملته
يا فؤادي لكل أمرٍ قرار
عقلت لجة البحر عقولاً
غرقت حيث لا يصاحُ بطافٍ
فلكُ يكسف الشمس نهارة
ومواقيتُ للأمر إذا ما
دولٌ كالرجال مرتهناتُ
وليالٍ من كل ذات سوار
إذا لم يستر الأدب الغواني
أسئمت من ديباجه فنزعته
جعلوا الهوى لك والوقار عبادة
كان الزفاف إليك غاية حظها
صور تريك تحركاً
لو يرجع الدهر مفقوداً له خطر

لمطلب فيه إصلاح وعمران
وتحت عقل على جنبه عرفان
تفرقت فيه أجناس وأديان
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان
إذا عد النار عليك ذنبا
أن الهوى قدر من الأقدار
والنفس ماضية مع الأوطار
كبت العقول وزلت الأحلام
من ضيع العرض المملوك ما
فلعل ليلى ترحم المجنوناً
في كل جارحة مكان
لا تطلع الشمس والأنداء في آن
نثرته كالدر الشفاه
حيناً وحيناً في نهاه
إذا سألوني ما الهوى؟ قلت: بما
ومن يهو لا يؤثر على الحب
تلقي الحياة فلم ينجب
مثل من يركب أعراف الرياح
في كنوز البحر مطروح الكسر
نالته الفجر عشاءً بالقصر
طالما أوحى إليه فأتمر
في نهار الفرق أو ليل الشعر
برفات السحر أو فل الحور
ومقام الموت من فوق الهذر

الملك أن تخرج الأموال ناشطة
الملك تحت لسان حوله أدب
الملك أن تتلاقوا في هوى وطن
والشعر ما لم يكت نكري وعاطفة
فكل ملاحه في الناس ذنب
لك أن تلوم ولي من الأعذار
وطر تعلقه القواد وينقضي
تجري العقول بأهلها فإذا جرى
ولا تروا منه ظلماً أن يضيعني
قالت أراه عند غاية وجده
حق الدلال لمن له
عسى تكف دموع فيك هامية
والنصح منهم وإن
أذن الفتى في قلبه
وعندي الهوى موصوفه لا
سمحت بروحي في هواه
وكم منجب في تلقي الدروس
ليس من يركب سرجاً ليناً
رب سيف ضرب الجمع به
ونجاد لم يطاول ضحوة
وسفين أمر فيها البلى
ووجوه ذهب الماء بها
وعيون ساجيات سحيت
موقف التاريخ من فوق الهوى

ومن القدوة ما توحى الصور
 أدوات السبق ما تغني الفطر
 وركبت النجم بالموت عثر
 سله المقدار من جفن الحذر
 ليس دون الله تحت الليل سر
 لم يعترضها في الفصول ستار؟
 من أن يكون رسوله الإضرار
 أصله واخضلت الأسحار
 وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
 بعد المزار وهو السفير
 أساسه إلا الحفير
 وبك المنادم والسمير
 وليس تصطنع الصدور
 لم يعل هام الظافرين الغار
 والدجى بيت الجوى والبرحا
 حدث خاض الغمار ابن ثمان
 أو إذا شئت حياة فالرجا
 وكثير ليس يلتأم قليل
 وعلى ناصية الشمس أجلس
 قد تجلت في بليغ الكلم
 فتأمل طرفيها تعلم
 والمنايا يقظة من حلم
 واقع يوماً وإن لم يغرس
 يوم تطوى كالكتاب المدرس

ورأها صورة في أمة
 كجواد السبق لن تغنيها
 وإذا الموت إلى النفس مشى
 رب ثاو في الظبي ممتع
 ضربتها وهي سر في الدجى
 سدل الستار وهل شهدت رواية
 والحق أرفع مله وقضية
 عهد من الشورى الظليلة
 بنيان آباء مشوا بسلاحهم
 الفكر بينهما على
 هذا البناء الفخم ليس
 في الرأي ثم أهاب بي
 في الرأي تضطنع العقول
 لو لم يكن قتلى وجرحى في
 نفرت لوعته بعد الهدوء
 صحب الداخل من إخوته
 أيها اليانس مت قبل الممات
 ماتت الأمة في غير التئام
 فارق فيها ترق أسباب السما
 خذ عن الدنيا بليغ العظة
 طرفاها جمعاً في لفظة
 الأماني حلم في يقظة
 كل ذي سقطين في الجو سما
 وسيلقى حينه نسر السما

ما على الصقر إذا لم ير مس
 فعلى الأفواه أو في الأنفس
 تحتها أنجس من ميت المجوس
 قبل موت الجسم أموات النفوس
 من ثناء صرن أغفال الرموس
 تبين من محموده لا يطمس
 أين بانيه المنيع الملمس
 بعد الشباب عزيزة الإدراك
 وإخلاصاً لزداتهم جمالا
 ولا أنسى الصنيعة والفعالا
 وصفاً لا يرقع بالكسالى
 إذا هي أولته إجمالها
 عرساً أقيم على جوانب مآتم
 سلوى ترقد جرحها كالبلسم
 سلم رث إذا استعمل خانا
 وجمال القريض بعد أوانه
 درج البرء في قوى جثمانه
 فيقال أحسن أو يقال أساء
 إن الكرام مشاغل السفهاء
 فالغاب من أمثالها مأهول
 على الزمان مبلل
 من العظام وما بلي
 على القصور مؤثـل
 للنجوم الأفـل

كنت صقراً قرشياً علما
 إن تسل أين قبور العظما
 كم قبور زينت جيد الثرى
 كان من فيها وإن جازوا الثرى
 وعظام تتزكى عنبرا
 فاتخذن قبرك من ذكر فما
 هبك من حرص سكنت الهرما
 ويح ابن جني كل غاية لذة
 ولو زاد الحياة الناس سعياً
 وقد أنسى الإساءة من حسود
 وكونوا حائطاً لا صدع فيه
 وما هو إلا جمال العقول
 وإذا نظرت إلى الحياة وجدتها
 لا بد للحرية الحمراء من
 كل تعليم نراه ناقصا
 حسن في أوانه كل شيء
 وإذا النفس أنهضت من مريض
 واعلم بأنك سوف تذكر مرة
 متدرع صبر الكرام على الأذى
 إن تفقدوا الآساد أو أشبالها
 كم من تراب بالدموع
 كالقبر ما لم يبيل فيه
 ريان من مجد يعز
 أمسـت جوانبه قرارا

وعنبرٌ في المحفل
غير ذي البال الخلي
من علةٍ في مقتل
كناقد ممعن في كفه الآل
ما ليس يفعل فيها طب دجال
رضى الصديق مقيل الحاسد
إن الغيوب صناديق بأقفال^١
أليس في الموت أقصى راحة^١
وإن جر أنيال الحداثة والخال^١
ولكن عجيب عيشه عيشة
الصبأ إلى المجد تركب متن أقد^١
لا من شبابه واكتهاله^١
على الليث أم على أشباله
بنيت منه هيكلًا وفصولا
سقط الستر بالدموع بليلا
لو نحس النواح والترتيل
أسطرا من جوى وأخرى غليلا
يوم لا يأذن البلى أن نقولا
ولا تأكل اللبابة الشبولا
سلمت في المضايق الأجسام
جعل البقاء لوجهه إكراما
لو شاء ربك وحد الأقواما
سبيلٌ يدين العالمون بها قدما
ولا الموت إلا الروح فارقت^١

وحديثهم مسك الندي
ليس الغني من البرية
والسيف أرحم قاتلاً
فقف على أهله واطلب جواهره
فالعلم يفعل في الأرواح فاسده
زيدان إني مع الدنيا كعهديك لي
واترك الغيب لله العليم به
أرحت بالك من دنيا بلا خلق
بلى كل ذي نفس أخو الموت
وليس عجيباً أن يموت أخو الصبا
وما الشيب من خيل العلا
إنما من كتابه يتوفى المرء
لست تدري الحمام بالغاب هل حام
بطل الموت في الرواية ركنٌ
كلما راح أو غد الموت فيها
رب يوم يناح فيه علينا
بمراثٍ كتبن بالدمع عنا
يجد القائلون فيها المعاني
تأكل الهرة الصغار إذا جاعت
وإذا كانت العقول كباراً
إن الذي خلق الحياة وضدها
الدين للدين جل جلاله
إلى حيث آباء الفتى يذهب الفتى
وما العيش إلا الجسم في ظل روحه

على نزلأء الدهر بعدك أو علما
 ما بنى الله مال له من هادم
 رب عظيم أتى الأمور العظام
 كل نفس للمنايا فرض عين
 أخذ يأخذه بالأصغرين
 نافضاً من طبه خفي حنين
 أو شكت تصدع شمل الفرقدين
 وتلاقي الليث بين جبلين
 وتقال البيغا في المنتين
 لا تذوق النفس منها مرتين
 ولرب حي ميت الوجدان
 ومضلل يجري بغير عنان
 إن الحياة دقائق وثوان
 يشقى له الرحماء وهو الهاني
 في طيها شجن من الأشجان
 إن المنية غاية الإنسان
 حتى يهب الصبح بالسارينا
 فترد شيخاً أو تمج جنينا
 ما كان آس بالشفاء ضمينا
 ومن أين للموت عقل يزن؟
 ماذا صنعت بعهد (عبد الله)؟
 كل نفس في وريديها رداها
 علة الدهر التي أعيادها
 يلد الزهراء يزهد في سواها

ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمة
 قد بنى الله بيتهم فهو باق
 قد بعثت القضية اليوم ميتاً
 يا أبي ما أنت في ذا أول
 غاية المرء وإن طال المدى
 وطبيب يتولى عاجزاً
 إن للموت يداً إن ضربت
 تنفذ الجو على عقباناه
 وتحط الفرخ من أيكته
 يا أبي والموت كأس مرة
 وجدانك الحي المقيم على
 الناس جار في الحياة لغاية
 دقائق قلب المرء قائلة له
 الناس غاد في الشقاء ورائح
 ومنعم لم يلق إلا لذة
 هون عليك فلا شمات بميت
 هيهات من سفر المنية أوبة
 ويقال للأرض الفضاء تمخضي
 إن الشفاء من الحياة وعونها
 ولكن متى رق قلب القضاء؟
 يا قلب ويحك والمودة ذمة
 قلت يا قوم اجمعوا أحلامكم
 تتحدى الطب في قفازها
 ما تمنى غيرها نسلأ ومن

وادكار النفس شيء من وفاها؟
 ويحططن في الترب الجبال
 فلست لحي حافظ العهد راعياً
 فلا يصنع الخيرات لم يعط
 وأنزله عن رتبه الشعر هاجياً
 ولا هو زور المدح إن كنت
 حملت به المصباح في الناس
 تضيء على الموتى الرجاء
 وهناك من الأحداث ما كان آتياً
 عليك وخذه مكملاً سوياً
 بما قد يعجز السيل الأتيا
 ومن لك بالمعلم ألمعياً؟
 وإن هو ضل كان السامرياً
 ألم يك زخرف الدنيا فرياً؟
 من الدوران يطويهن طياً
 وكيف ثوى الفقير به غنياً؟
 فلم يقبل سوى التجريد زياً
 ومن قذف اليهود به عشياً
 ومن مرت به شعباً ورياً
 وآخر ما تحس له نعيماً
 للطالبين ولا البيان كلام
 يحب الأريحية والسدادا
 كمقدرة ابن آدم إن أرادا
 أعلى الهوان ينام في الآجام

وجرى الماضي فماذا اذكرت
 وبعض المنايا تنزل الشهد في
 إذا أنت لم ترع العهود لهالك
 ومن يعط من جاه الملوك وسيلة
 وما حظ من رب القصائد مادحاً
 فليس البيان الهجو إن كنت ساخطاً
 ولكن هدى الله الكريم ووحيه
 تفيض على الأحياء نوراً وتارة
 إذا سلم الدستور هان الذي
 هما كالسيف لا تنصفه يفسد
 وقد تأتي الجداول في خشوع
 أخذت على أريب ألمعي
 إذا رشد المعلم كان موسى
 نشدتك بالمنية وهي حق
 ومنقلب النجوم إلى سكون
 وكيف أتى الغنى له فقيراً
 لقد لبسوا له الأزياء شتى
 سواء فيه من وافى نهراً
 ومن قطع الحياة صداً وجوعاً
 وميت ضجت الدنيا عليه
 ما العلم ما لم يصنعه حقيقة
 وليس الحظ إلا عبقرياً
 ولم أر بعد قدرته تعالى
 صاحت به الآجام هنت فلم ينم

فأعدده بين غواير الأقوام
أعلمت حالاً آذنت بدوام
غاياته إلى الله أدنى
يعلم الطير هل بكى أو تغنى
فما تعلمين للعلم سنا
عطلت من نباهة الذكر معنى
وسلطانه ولا الجاه أغنى
عقريين أورثوا الملك حسنا
أو بديع الخيال يخلق فنا
تبنى المقصر أو تحت المقتدي
نزع الشبل من الغاب الودد
وهل متجزئ ضوء النجوم؟
ولا أحد بما تأتي عليما
فكن ضيف الرعاية والوداد
ولا خرس الفتى فضلاً عظيماً
هل ترى الجهال إلا كالنعم
ما يفيد العقل إن عي اللسان
من تغب عنه تفته المعرفة
إنما الصحة والرزق والعمل
متقن الأعمال سر الله فيه
طالع التاجر في حسن الأدب
كل خلق فاضلٍ دون السخاء
يحقر الموت ينل رق الزمن
إنما الطفل على الأرض ملك

من ليس في ركب الزمان
جربت نعمى الحادثات وبؤسها
وأرى العلم كالعبادة في أبعد
كيف يهزأ بخالق الطير من لم
لا تعدي السنين إن ذكر العلم
انظر الناس هل ترى لحياة
لا الغنى في الرجال ناب عن
نظم الله ملكه بعباد
من ذكي الفؤاد يورث علماً
إن القديم ذخيرة من صالح
لا يقيم على الضيم الأسد
كذا أنتم بني البيت الكريم
فليس مع الحوادث من قدير
وما الدنيا بمثوى للعباد
فما بالعي في الدنيا التحلي
هو إن أوتيته أسنى النعم
إن رزقت العلم زنه بالبيان
إن للعلم جميعاً فلسفة
كن نشيطاً عاملاً جم الأمل
كل ما أتقت محبوب وجيه
أيها التاجر بلغت الأرب
واسخ في الشدة وازدد في
أذكر الموت ولا تفزع فمن
أحبب الطفل وإن لم يك لك

تبخل الشمس عليها بالمرور
 إن عقل البعض في كف النديم
 بعد التذكر راحة المستعبر
 لأخيك فاذكره عسى أن تذكر
 ظل الوجود جهامةً وجفاء
 ومن الدور جوادٌ وبخيل
 قلت الحيلة في قال وقيل
 ويندبهم ولو كانوا عظاما
 تحير فيها الحي كيف يسود
 إلى بعثةٍ وشئونٍ آخر
 ولا عبثاً يزمعون السفر
 ولا تجحد الآخر المنتظر
 ومن عملٍ صالحٍ يدخر
 شريف السماع كريم النظر
 تعش غير عبدٍ ولا محتقر
 يقولون: مرّ وهذا الأثر
 وتخلفها كلما تكبر
 وفيها السعادة والمفخر
 لمن آثر السلم أو يؤثر
 ورب أخي ضلةٍ يعذر
 في بناء الأسرة
 والشعر للحكمة مذ كان وطن
 وكل من فوق الثرى صياد
 كم تحت ثوب الزهد من صياد

خيمة في البيد خيرٌ من قصور
 لا تنادم غير مأمون كريم
 أبكيك إسماعيل مصر وفي البكا
 وإذا الزمان تنكرت أحداثه
 لولا ابتسام الفن فيما حوله
 ومن الأرض جدي وندي
 اجعلوا الصبر لهم حيلتكم
 عظيم الناس من يبكي العظاما
 إذا الميت لم يكرم بأرض ثناؤه
 وجدت الحياة طريق الزمر
 وما باطلاً ينزل النازلون
 فلا تحتقر عالماً أنت فيه
 وخذ لك زادين من سيرة
 وكن في الطريق عفيف الخطا
 ولا تخل من عمل فوقه
 وكن رجلاً إن أتوا بعده
 لعلك تألفها في الصبا
 ففيها الحياة لمن حازها
 وفيها السلام الوطيد البناء
 فقلت لأمر ضالت السبيل
 رأيت جد الأمهات
 جعلتها شعراً لتلفت الفطن
 ألقى غلامٌ شركا يصطاد
 إياك أن تغتر بالزهاد

إن البطون قادرات شداد
 تطوي إلى الحب مئات البلاد
 ما آفة العمر سوى الآمال
 ففداه كل ذي رأس كبي
 ففي العمى لنفسه وقاء
 مقعدٌ ومقــــــــــــــــيم
 لســــــــــــــــانه معصــــــــوم
 أبيض وجهه الود
 بالنفس والنفســــــــيس
 في الحسن والظهور
 مضــــــــيع الــــــــوداد
 وقربــــــــه هــــــــلاك
 ليس فيهم حقيقة فتقال
 أن للثعلب دينــــــــا
 سهرت من حب أطفالي على
 يشــــــــتكي من غير عله
 تكفيك منه صحبة السفينة
 إن أنت لم تنفع ولم تشفع
 إن ضاق جاه الليث بالضعف
 فالبطن لا تملؤها الصلاة
 ما الحمل إلا ما يعاني الصدر
 إن صبر الأم رحمه
 عنــــــــوان الصــــــــحيفة
 لا شيء يعدل الوطن
 والمرء ما تعودا

ما الرجل إلا حيث كان الهوى
 أما ترى الطير على ضعفها
 ما آفة السعي سوى الضلال
 سلم الثعلب بالرأس الصغير
 من كان في عينيه هذا الداء
 فكرت في الغد والفكر
 إن الحكــــــــيم نبــــــــي
 رب صــــــــديق عبــــــــد
 يفــــــــديك كــــــــالرئيس
 وصاحب كــــــــالنور
 معتكــــــــر الفــــــــواد
 حبالــــــــه أشــــــــراك
 سائلي عن حقيقة الناس عذراً
 مخطئٌ من ظن يوماً
 إذا الرعاة على أغنامها سهرت
 إن للظالم صــــــــدراً
 ومن تخاف أن يبيع دينه
 إذ كيف تسمو للعلا ياقتي
 لا خير في الملك وفي عزه
 لكن يقوم الليل من يقتات
 ليس بحمل ما يمل الظهر
 فاصبري صبراً جميلاً
 إنما الثوب على الإنسان
 هب جنة الخلد اليمن
 يأخذ ما عودته

المسرحيات الشعرية

مسرحية عنصرة

نسيت لكم وأنسى ما جنيتم تحب وإن تنكرت الديار
قد اجتمعنا على عرس وفي كم من شتيتين بعد الفرقة

مسرحية مجنون ليلي

أبيتم علي القول قبل استماعه فلم تتصفوا والمنصفون قليل
ولم اتخذ جاه الأمور ذريعة ألا إن جاه الأمور يزول
مالي غضبت فضاع أمري من والأمر يخرج من يد الغضبان
وكم متعوذ بالله منا تعوذ الأرض منه والسماء
وما ضر الورود وما عليها إذا المزكوم لم يطعم شذاها
حنانيك ليلي ما لخل وخلة من الأرض إلا حيث يجتمعان
وهل نحن إلا على حفرة هي الأرض أو هي قبر البشر
محجبة بغيرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضر
يزار كثيراً فدون الكثير فغياً فينسى كأن لم يزر
أنت في الصمت مبين ومن الصمت كلام
قد يهون الأمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا
فلا خير في الحب حتى يذيع ولا خير في الزهر حتى ينم

مسرحية قمبيز

لم ير الناس صاحباً كالعوافي محبباً
هذه الدنيا لمن يقدم فيها أو يريد

عن سنة الدنيا محيد
له من لا له قلب
وأنى يسمع الصخر
خوفو تكون الحكما
وربما جاء بأضغاث الرؤى
وهل منزل السم إلا الدسم
ولم لا وهي أجدر أن تهابا
توقّع أن يصيب ولا أصابا
فخفها إنها لا خير فيها
وربما جاء بأضغاث الرؤى
وهل منزل السم إلا الدسم
ولم لا وهي أجدر أن تهابا
توقّع أن يصيب ولا أصابا
فخفها إنها لا خير فيها
يشك من وخز الضمير

سنة الكون وما
دع الحب فلم يخلق
تكلمت فلم يسمع
كن منصفاً إن رمت يا
الأكل قبل النوم ثقل وأذى
أخاف القصور وأخشى السموم
ذكرت الحرب هل تخشين
وأغبي الناس منشمر لحرب^١
كذا الدنيا تغير يابن كسرى
الأكل قبل النوم ثقل وأذى
أخاف القصور وأخشى السموم
ذكرت الحرب هل تخشين
وأغبي الناس منشمر لحرب^١
كذا الدنيا تغير يابن كسرى
وسعيد الناس من لم

مسرحية مصرع كليوباترا

ش ، كان سلاماً عليها السنا
علينا عن قريب
عداً ، ولا هو مستغرب من
وقد يشفي العضال من العضال^١
لعل جلاله يحمي جلالى
الموت لا يذاق مرتين
صروف المنايا والجدود^١

ولو شككت في السراج الفرا
عن قريب ينطوي القبر
رويدك ما الموت مستب
وبعض السم ترياق لبعض
فرمت الموت لم أجبن ولكن
علام حلت بينيه وبينى ؟
وما استحدثت عند الكرام شماتة^١

مسرحة علي بك الكبير

ننقل من حفرة للحد
إذا عوى الذئب من مكان
فلا خير في دار إذا لم يطف بها
ولا خير في روض بغير بهارة
ولو أن رزئي بالغريب احتملته
وأعلم أنني عنك لا بد زائل
فما الدهر إلا حالة ثم ضدها
كل نصح يقال للقلب في الترك
لا أستعين على أهلي الغريب
مولاي تلك معان تحتها كرم
بعداً وسحقاً لعلياء الأمور إذا
الموت في ثمر ترقى لتجنیه
اذهب فما أنت دار ما غدُ فعسى

تساوت الدور والقبور
أجابه الكلب والرعاة
نسيم شباب أو شعاع جمال
ولا خير في قاع بغير غزال
ولكن بأهلي نكبتني وعذابي
وأنتك مني لا محالة خال
وإلا ليال بعدهن ليال
وفي سلوة الهوى غير مجد
أرني الذئب على غابي
ليست لمن طلب الدنيا بأشغال
لم ألتمسها بخلق فاضل عال
في سلم من ثعابين وأصلال
يغير الله من حال إلى حال

مسرحة الست هدى

وقد يصبح المبني أوضع منزلاً
وقد يصبح المهودوم أرفع شاناً

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
ز	الدراسات السابقة
ي	تساؤلات البحث
ي	خطة البحث
ل	شكر و عرفان
١	تمهيد
٢	فصل في معنى الحكمة
٤	الحكمة في القرآن
٧	الحكمة في السنة
٩	الحكمة في الشعر العربي
٢٠	مصادر الحكمة عند شوقي
٣٥	موازنة بين الحكمة عند شوقي والمتنبي
٣٨	العلاقة بين الشعر والفكر
٥٢	أبيات الحكمة (عددها - أقسامها)

الصفحة	الموضوع
٥٣	الفصل الأول
٥٤	الحكمة العملية
٦٧	الحكمة النظرية
٩١	الفصل الثاني
٩٢	اللغة في شعر الحكمة
١٢٣	الإيقاع
١٦١	موقع أبيات الحكمة في القصائد
١٦٩	الخاتمة
١٧٢	المصادر والمراجع
١٧٩	ديوان الحكمة
٢٢٩	فهرس الموضوعات